عمود الشعر العربى

فى موازنة الآمدى

الدكتور

على على صبح

الأستاذ فى كلية التربية ـ جامعة الرياض

ورئيس قسم الأدب والنقد فى جامعة الأزهر

كتاب يصدر عن رابطة الأدب الحديث بالقاهرة

١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م

الناشر

مكتبة الكليات الأزهرية

حسين محمد امبابى وأخوه محمد

٩ ش الصنادقية ـ الأزهر ـ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

« رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى »

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تصـــــدير

بقلم أ • د • محمد عبد المنعم خفاجى

هذا الكتاب «عمود الشـــعر فى موازنة الامدى » للدكتور الاســتاذ الناقد على على صـــبح رئيس قسم الادب النقد فى كلية اللغة العربية بالقـــاهرة ، والذى تنشره رابطـــة الأدب الحديث اليوم تقديرا للكتاب يثير قضـــايا أدبية ونقدية على جانب كبير من الاهمية ، ويفتح المجال لحوار علمى كثير حول الشعر والآمدى وكتابه الموازنة •

ومن الجـــدير بالالتفات أن أهمية البحث تجعل لهذا الكتاب قيمة نقدية كبيرة ، وأن الناقد الدكتور على صبح قد وفق توفيقا كبيرا فى دراسة هذه القضايا وعرضها عرضا علميا عميقا ، وانه بذلك أثرى المكتبة العربية بهذا السفر القليل الحجم الكبير الفائدة •

ومن حظ القارىء العربى أن يجد نظرية عمود الشعر عند الآمدى فى كتابه الموازنة مشروحة شرحا علميا نقديا فى هذا الكتاب لاول مرة ، وأن يكون للدكتور المؤلف الفضل فى عرض هذه القضايا ودراستها ومناقشتها وبيان مواقف النقاد قديما وحديثا فيها •

وانى لأهنىء القارىء العربى بهذا البحث الذى يسد ولا ريب النقص الملموس فى الدراسات النقدية عن نظرية عمود الشعر العربى عند النقاد •
وبالله التوفيق ، وهو الهادى الى أقوم طريق ••

أد• محمد عبد المنعم خفاجي
رئيس رابطة الأدب الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أصالة النقد العربى القديم تبرز معالمها يوما بعد يوم فى النقد الحديث ويظهر أثرها القوى فيه ، وسيظل النقد العربى الحديث بروافده الكثيرة ، ومنابعه الجمة ، فكرا مضيئا تتضح فيه أصالة الناقد العربى ، وعراقة الأدب الشرقى ، ويظل الناقد والأديب معا يرتشفان منه غذاءهما الأدبى والنقدى ، ويبعد كل منهما التيارات الوافدة من الغرب والبعيدة عنه ، والتى تطغى على روح النقد العربى الأصيل ، وتفسد الذوق العربى المستقيم ، ويأخذ من هذه التيارات ما يتناسب مع ذوقه وشعوره العربى ، ويطرح ما يتنافى مع الاتجاهات الادبية العربية الأصيلة .

ومن أعلام النقد العربى القديم ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدى ، الذى مازال يعيش معنا اليوم وكل يوم بنقده الأصيل ، وذوقه العربى المستقيم ، ولا يكاد يخلو كتاب حديث فى النقد العربى من روح الآمدى واتجاهاته النقدية الأصيلة .

ولقد حسم الآمدى بنزاهته النقدية الخلاف حول أبى تمام والبحترى فى كتابه النقدى « الموازنة » وكشف عن المغرضين فى النقد والمتشيعين لأبى تمام على حساب البحترى والمتشيعين للبحترى على حساب أبى تمام ، وأعطى لكل حقه وحدد مكانه الصحيح واللائق بشعره من نظرية عمود الشعر العربى ، وبهذا الصنيع أراه قد أنصف الشاعرين والنقد والنقاد جميعا ، وبذلك كله كتب لنفسه الخلود ، ولنقده القيمة العلمية الجادة ، وأصبحت آراؤه فى النقد العربى ، واتجاهاته فى الذوق العربى المستقيم ، وتطبيقاته لنظرية عمود الشعر العربى ، أصبح هذا كله موردا عذبا وخصبا لكل النقاد من بعده ، قدامى ومحدثين .

وهذا هو موضوع البحث والدراسة والتحليل والموازنة والتفسير والنقد ، للكشف عن أصالة النقد العربى ، وعراقة قيمه النقدية ، ولكى تبرز قيمة النقد القديم ، ومنزلته السامية من النقد العربى الحديث ، ليدل كل ذلك على عمقه واتساعه ، وأصالته وعراقته ، وانه لجدير بالدراسة والبحث ، وتطبيق مناهجه وقيمه الأصيلة فى أدبنا العربى الحديث ٠

على على صبح

الباب الأول

الآمدى الناقد الأدبى

الفصل الأول : الآمدى الناقد الأدبى

الفصل الثانى : تبويب الكتاب عند المؤلف

الفصل الأول

الآمدى الناقد الأدبى

ـ ١ ـ

هو أبو القاسم الحسن بن بشر يحيى الآمدى الأصل ، البصرى المنشأ· ولد بالبصرة ، فلما بلغ سن الشباب توجه الى بغداد ، واختلف الى مجالس العلماء ، يتلقى عنهم اللغة والنحو والأدب ، ثم عاد بعد حين الى البصرة ، كاتبا للقضاة من بنى عبد الواحد ، ثم برز فى الأدب وصارت له شـــهرة واسعة فيه ، وانتهت اليه رواية الشعر القديم ، والأخبار فى آخر عمره ، وقد ألف كتبا كثيرة فى الفقه والنقد ، ذكرها ياقوت فى الترجمة التى عقدها له ، وكان فوق ذلك شـــاعرا مجيدا ، رويت له مقطعات شعرية كثيرة ، وتوفى أخيرا بالبصرة سنة ٣٧٠هـ ·

ـ ٢ ـ

والآمدى صاحب كتب كثيرة نذكر منها :

كتاب المختلف والمؤتلف فى أسماء الشعراء ·

كتاب تفضيل امرىء القيس على الجاهليين ·

كتاب معانى شعر البحترى ·

كتاب الرد على ابن عمار فيما أخطأ فيه أبو تمام ·

كتاب فرق ما بين الخاص والمشترك فى معانى الشعر ·

كتاب تبيين غلط قدامة بن جعفر فى كتابه نقد الشعر ·

كتاب ما فى عيار الشعر لابن طباطبا من الخطأ ·

وأهم كتبه هو كتاب الموازنة بين أبى تمام والبحترى ·

ونلاحظ أن الآمدى قد ظهرت شهرته ، وارتفع صيته فى القرن الرابع والدولة الاسلامية واسعة الرقعة والثقافة العربية بعيدة المدى ، قد هضمت شتى الثقافات وأحالتها غذاء عقليا ســائغا ، على أن الآمدى قد درس وبحث ، وثقف عقله وهذب نفسه بهذه الثقافة العربية فى روحها ، المتنوعة ذى ألوانها ٠

والآمدى كما نلاحظ فى الموازنة ذو عقل حصيف ، وفكر ناضج ، وثقافة واسعة وهو لا يسير وراء العلماء والأدباء وانما يجىء فى الطليعة مجددا لا مقلدا ، ومتبوعا لا تابعا ، سواء فى اللغة أم الأدب أم النقد ، ونلاحظ أن الآمدى من الذين يؤثرون فى الأدب الروح الشعرية المطبوعة ، التى تميل الى ايثار اللفظ والاسلوب ، فهو لا يرى الشعر الا صحة تأليف وعذوبة لفظ وجمال نظم ، وهو لا يرى هذا الرأى فى الشــعر وحده ، بل يجعل البلاغة كذلك مقصــورة على جمال اللفظ والأســلوب وحدهما ، وموافقتهما للمنهج العربى فى صــحة التأليف وجــودته ، أما المعانى وسموها ، والحكمة الانسانية وروعتها ، والخيــال واغراقه ، فذلك الترف الزائد عن الحاجة ، والذى ان ألم به الشــاعر أو الخطيب ، فقد زاد فى حسن صنعته وبهائها والا فالصنعة باقية قائمة بنفسها ومســتغنية عما سواها ٠

ونلاحظ أن الآمدى فى هذا الاتجاه الأدبى تابع للجاحظ وأضرابه ممن يؤثرون الروح الشعرية المطبوعة على المعانى الشعرية المبتدعة ويقولون « عليك أن تجتنب الســوقى والوحشى ولا تجعل همك فى تهذيب الألفاظ ، وشغلك فى التخلص الى غرائب المعانى ، وفى الاقتصاد بلاغ ٠ (١)

على أن الآمــدى يخــالف النهج الذى يسير عليه قــدامة الذى ينصر المعنى على اللفظ ، وينادى بظرورة العناية به ، ويقول البلاغة فى شــقين : معنى مبتدع ، ونظم ساحر ، وهو لذلك يجعل مادة الشــعر المعانى (٢) ٠

أما صــاحبنا الآمدى فقد جعل مادته اللفظ ، وهذا الاتجاه الادبى الذى سار عليه الآمدى ، كان سببا فى ايثاره البحترى وتفضيله والتسامى بشعره ، ووصوله الى الذروة والقمة على غيره من الشعراء ٠ لذلك نلاحظ

أن نقد الآمدى لشعر الطائيين ليس نقدا للروح الشـــعرية ، بما فيها من جوانب شتى ، ومن مظاهر متنوعة ، وآراء ذهب اليها الشاعر وشخصية فرضت نفسها على نتاجه ، وحياة تلون هذا الانتاج بلونها ، وعقلية نبع ذلك الشعر من ينابيعها ، واتجاهات جديدة اتجه اليها فنه ، ونغمات جديدة أضافها الى التراث الشـــعرى ، وانما هو نقد للفكرة المجردة ولأسلوبها الشعرى الذى ظهرت فيه ، اذا كانت الفكرة والأسلوب بعيدين عن النهج العربى ، فهو تحكيم للنهج العربى فى أســـلوب الشـــاعرين وألفاظهما ومعـــانيهما ، فيرد منهمـــا ما يرده الطبع العربى ، ويقبل ما يقبله ، من عناية باستقصاء سرقاتهما الشعرية الكثيرة ، فهو نقد عقلى ولغوى أكثر منه نقدا أدبيا شعريا ، على أن الآمدى لا يكتفى فى النقد بالناحية السلبية فقط ، بل كثيرا ما يتجه اتجاها ايجابيا جميلا ، فيأتى بالأبيات التى وقع فيها الخطأ مصححة أبدع تصحيح ، ويلاحظ أن الآمدى حكم فى الموازنة « عمود الشعر العربى تحكيما شديدا » ٠

وعمود الشعر هو كل التقاليد الفنية التى كان يتبعها الشاعر الجاهلى فى ألفاظ القصيدة ومعانيها وأخيلتها وموسيقاها ٠

ان ثقافة الآمدى الأدبية العربية كانت تجعله يكثر فى الموازنة من الاحتكام الى التقاليد الأدبية للشاعر الجاهلى ، ولقد رأى الآمدى احتكام قدامة الى عقله والى موازين أخرى ، وثورة النقاد عليه فيما اصطنع من منموازين ، لذلك رأى أن من الأسلم الاحتكام الى الذوق العربى الشعرى القديم وحده ٠

فاذا رأى قدامة مثـــلا خطأ فى الاســـتعارة عند أبى تمـــام بأن يأتى بها أبو تمام استعارة بعيدة ، أو استعارة نابية عن ذوق العربى فى الاستعمال كماء الملام ، فان الآمدى لا ينقد الشاعر فى ذلك على أساس خارج عن الثقافة العربية الأدبية ، ولكن يعود الى طريق الشاعر الجاهلى القديم ، فيجعلها الحكم فى هذه المسألة ٠

على ذلك نلاحظ أن الموازنة ألفت فى فترات متقطعة ، يدلنا على ذلك عدم تساوق كل جزء من أجـــزائها فى التأليف مع الذى يليه ، وأن روح الآمدى مختلفة فى ثنـــاياه ، فهو يذكر فى آخر كل فصـــل من كتابه أنه

سيضيف الى البحث ما سيعثر عليه من أخطأ أو سرقات ، وسيلحقه بما كتب وهو حين يقرر فى كتابه الموازنة أنه سيوازن بين شعر الشاعريى فيما يتفقان فيه من الموضوع ، والوزن ، والقافية ، واعرابها ، ويعود فيجعل الموضوع فقط هو أساس الموازنة ، وهو يكرر كثيرا من ارائه ونقده ٠

على أن كتاب الموازنة للآمدى من أجل الكتب التى ظهرت فى النقد والموازنة ، ولقد وضع هذا الكتاب أساس نقد الشعر والموازنة بين الشعراء ، وهو بحق من أمهات الكتب التى ظهرت فى النقد الادبى وأصوله، وهو أيضا مصدر من مصادر البيان العربى ، ومرجع من مراجعه ، وقد اعتمد عليه علماء البيان، مع أن الموازنة ليس كتاب بيان وبلاغة، وانما هو نقد أدبى ، وموازنة بين شاعرين ، وليس بحثا فى البيان العربى وبلاغته ٠

والكتاب مقسم الى خمسة أقسام وكل قسم يسميه المؤلف جزءا : فالجزء الأول يورد فيه الآمدى آراء النقاد فى شعر (أبى تمام والبحترى) ويستقصى رأى المتعصبين لهذا أو ذاك ، ويطلق لهذا الفريق الحرية فى مجادلة ذلك الفريق ، والجزء الثانى : ذكر فيه أخطأ أبى تمام فى المعانى والالفاظ ٠٠ والجزء الثالث : يذكر فيه قبح استعارته ومستهجن جناسه ومستكره طباقه ، وما ورد من شعره فى سوء النظم وتعقيد التركيب ، ووحشى الألفاظ مما خلا من بهاء الرونق وعذوبة السمع، ومما حمل التعسف على ديباجته ، وظهرت مجاجة التصنيع فى أعطافه ، ويذكر ما وقع فيه من كثرة الزحافات ، التى ضيعت موسيقى أوزانه الشعرية ، حتى قال فيه دعبل : ان كلامه بالخطب والكلام المنثور أشبه منه بالشعر الموزون ٠ ونلاحظ أن الجزء الرابع من الكتاب يحلل فيه الآمدى بايجاز عيوب شعر البحترى مكتفيا من ذلك ببيان بعض سرقاته ، مع نفى الكثير منها عنه ، بدعوى أن الاحتذاء كان فى معان عامية لا خاصية ، حتى ينسب اليه السرقة فيها ٠

أما الجزء الخامس فيوازن فيه بين الشاعرين فى المعانى ، التى اتفق موضوعها فى شعرهما ، ويبدأ تلك الموازنة بكلمة فيها صعوبة نقد الشعر ، وأن لهذا الميدان أبطاله ممن عنوا بكثرة النظر فى الشعر

والارتياض فيه · وطول الملامسة له ، ثم نلاحظ أن الآمدى يبين اتجاهه الادبى ، الذى تأثر به فى الموازنة ، وهو الاتجاه الذى جعله لا يرى بلاغة الشعر الا فى نظمه وأسلوبه وصحة طبعه ، ذاكرا أن الذين قدموا البحترى، انما قدموه لأن له من ذلك ما ليس لسواه ، وان كانوا لا ينكرون على أبى تمام اجادته فى المعانى ، وكثرة اســـتنباطه لها ، واغرابه فيها ، هذا والآمدى فى معظم ما كتب كان ناقدا ، ومحيطا بكل أسرار اللغة ودقائق البيان ، فهو يقف فى نقده عند البيت فى دقة ملاحظة ، وسعة اطلاع ، اذا وجد به خطأ فى لفظ أو فسادا فى تركيب ، أو احالة فى معنى ، أو بعدا عن النهج المألوف ·

ونلاحظ أن لياقوت الحموى فى كتابه معجم الأدباء رأيا فى الموازنة ما نصه : « كتاب الموازنة بين الطائيين فى عشرة أجزاء ، هو كتاب حسن وان كان قد عيب عليه فى مواضع منه ، ونسب الى الميل مع البحترى فيما أورده ، والتعصب على أبى تمام فيما ذكره ، والناس بعد فيه على فريقين:

فرقة قالت برأيه حسب رأيهم فى البحترى وغلبة حبهم لشـــعره ، وطائفة أسرفت فى التقبيح للغض به ، وانه جد واجتهد فى طمس محاسن أبى تمام ، وتزيين مرذول البحترى ، ولعمرى أن الأمر كذلك ، وحسبك أنه بلغ فى كتابه الى قول أبى تمام : أصم بك الناعى وأن كان أسمعا ، فشرع فى اقامة البـــراهين على تزييف هـــذا الجـــوهر الثمين ، ولو أنصف كل واحد يقدر فضـــائله لكان من محـــاسن البحترى كناية عن التعصب بالوضع من أبى تمام (١) ·

ولاشك فى تأثر الآمدى بآراء النقاد قبله ، فهو يعتمد على آرائهم ، ويستدل بحكمتهم فى النقد ، وهو يروى الكثير عنهم فى كل صفحة من صفحات الكتاب ، وكل موضوع من موضوعاته ، ونقل عن الأصمعى وعن ابن الأعرابى وأســتاذهما أبى عمرو بن العلاء ، ونقل عن ابن سلام وابن قتيبة وسواهما من أئمة الأدب وعلماء الشعر، وهل هذه الانتقادات الكثيرة التى شحن بها الكتاب الا صـــورة لآراء كثيرين من النقاد ، التى جمعها الآمدى فى موازنته ؟ فأصـــول كتاب الموازنة ترجع الى نقـــاد القرن الثالث (١) · ومؤلفيه ·

وقد صرح الآمدى بما يدل على ذلك فى أكثر من موضع من كتابه ، وفضل الآمدى انما هو فى تدوينها وتنسيقها واضافة آراء معاصريه اليها وتدبيجها بكثير من آرائه هو ، وتعليل مالم يعلل، فقد هضمت عقلية الرجل كل ذلك، فرتبته وأحسنت جمعه والاستدلال به،والزيادة عليه فى التحليل والتعليل، ولذلك قيمة كبيرة لا سيما أن كتب النقد فى القرن الثالث قد فقد أكثرها ، ولاشك أيضا فى أن الآمدى فيما سار عليه من مناهج فى النقد والموازنة قد تأثر باتجاهات النقاد قبله ومناهجهم فيما ينقدون ، وهل كان النقد قبل الامدى الا تحكيما للنهج العربى فى نثر الأديب ونظم الشاعر ؟ وهل كان ابن العلاء وخلف وحماد والأصمعى وابن الأعرابى وسواهم من الادباء والنقاد يميزون جيد الشعر من رديئه الا بعرضه على ميزان الطبع العربى وتحكيم الاسلوب العربى فيما ينقدون ؟ وكذلك فعل الآمدى فقد أرجع الى اللغة العربية بأصالة كل شىء فى النقد ، فهو ينقد شعر أبى تمام ، وينقد البحترى ، بتحكيم النهج العربى فى شعر الشاعرين ، وتحكيم الذوق العربى فى كلاهما ، والاسلوب العربى فى أساليبهما الشعرية فيرد ما ترده ، ويقبل ما تقبله ، فللعرب طريق خاص فيما ينطقون به من أساليب وتركيب ونظم ، وفيما يتكلمون به من أفكار ومعان وخيالات ، وفيما ينظمون فيه شعرهم من أوزان ، ولهم نهج خاص فى مجازاتهم وتشبيهاتهم واستعاراتهم وتمثيلاتهم ، وفيما يتفننون فيه من مقابلة أو طباق أو جناس أو سجع الى غير ذلك ، وذلك النهج العربى الخاص هو ما يجب على الشاعر أن يلتفت اليه ، ويسترشد به ، ويحتذى حذوه ، وينظم شعره على مثاله ، ثم هو ميزان النقد وأساسه ، والناقد يحكم ذلك النهج الخاص فيما ينقد من شعر، فيفطن لما فيه من جمال وما فيه من قبح ، ثم هو يدرك ذلك بطبعه وذوقه ، وقد لا يجد الى تصوير ما فى نفسه من شعور بالقبح أو الجمال سبيلا ·

كذلك كان رأى الآمدى فى النقد، وعلى هذا الضوء سار فى نقد الطائيين، فقد عرض شعرهما هذا العرض ، وفلاه هذه التفلية ، وأخذ يظهر ما فيه من عيوب وأخطاء ثم وازن بينهما ، فيما لهما من روائع وحسنات حريصا على وحدة الموضوع ، اذا تعسر عليه مع ذلك مراعاة وحدة الوزن والقافية واعرابها ، وقد سار نقاد الشعر العربى بعد عهد الآمدى فى النقد على هذه الطريقة وذلك المذهب ، وصار ذلك الاتجاه خطة علمية مقررة ، وأصبح هو النهج الفنى لنقاد العرب جميعا ، ومن الواضح « أن هذا النهج

بعيد الصلة عن منهج قدامة بن جعفر الذى فصله فى كتابه « نقد الشعر » والذى بناه على أساس عقلى مع عناية بجميع أصول قدامه من قواعد العقل والمنطق فصدر عن حكمها فى النقد ، أما الآمدى فقد حكم الذوق الأدبى وحده والروح العربية والاتجاهات الخاصة بالعرب وبلغتهم العربية » .

أما تأثر الآمدى بقدامة فى بحوث البيان ونظرياته فقليل : لاختلاف ثقافة الرجلين واتجاههما . فالآمدى أديب لغوى وقدامة أديب فيلسوف ، والآمدى يقف من قدامة موقف الند للند ، فهو مؤلف كتاب ينقد فيه قدامه ويبين غلطه فى كتابه « نقد الشعر (١) » وهو ينقد رأى قدامه فى الطباق وحقيقته ونقده نقدا لاذعا تبعه فيه ابن الأثير (٢) .

ونلاحظ أن الآمدى يذهب الى أن البلاغة للفظ وقدامة يجعلها للفظ والمعنى ، ويجعل الآمدى مادة الشـــعر هى الألفاظ ويجعلها قدامه هى المعنى ، ولكن الآمدى على كل حال أفاد من نقد الشعر لقدامه واقتبس منه .

منهجه فى النقد

يقول الآمدى عندما يصل فى كتابه الى الموازنة التفصـــيلية بين الشاعرين « أنا أذكر باذن الله الآن فى هذا الجزء المعانى التى يتفق عليها الطائيان فأوازن بين معنى ومعنى وأقول أيهما أشـــعر فى ذلك المعنى بعينه ، فلا تطلبنى أن أتعدى هذا الى أن أفصح لك بأيهما أشعر عندك على الاطلاق فانى غير فاعل ذلك (١) » .

وهذه بلاشك نغمات جديدة فى تاريخ النقد العربى ، فالذى ألفناه هو ألا يقف ذوو البصر بالتحـــديد عند تفضيل طبقات من الشعراء على طبقات أخرى على نحو ما رأينـــاهم يجعلون من امرىء القيس والنابغة والأعشى وزهير الطبقة الأولى من الجاهليين ، ومن جرير والفرزدق والاخطل الطبقة الأولى من الأمويين . وهكذا بل يعدون ذلك الى المفاضلة بين أفراد كل طبقة ، وفى مقدمة جمهرة أشعار العرب لأبى زيد محمد بن أبى الخطاب

القرشي ، وغيرها من كتب الأدب كثير من المفاضــلات التى أقاموها على تعميمات لا استقصاء فيها ولا تجديد ٠

وأما الآمدى فوجهته وجهة أخرى فهو يبدأ الموازنة بين البحترى وأبى تمام بأن يورد حجج أنصار كل شاعر وأســباب تفضيلهم له ، ثم يأخذ فى دراسة سرقات أبى تمام وأخطائه وعيوبه ، وأخيرا ينتهى الى الموازنة التفصيلية بين ما قال كل منهما فى معنى من معانى الشعر يقول : « وأنا أبتدىء (٢) بما سمعته من احتجاج كل فريق من أصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الأخرى عند تخاصمهم فى تفضيل احدهما على الآخر ، وما ينعاه بعضهم على بعض لتتأمل ذلك ، وتزداد بصيرة وقوة فى حكمك ، وان شئت أن تحكم ، واعتقادك فيما لعلك تعتقد احتجاج الخصمين به » ونلاحظ انه يورد فعلا حجج كل فريق ورد الفريق الآخر عليه ٠

لذلك نجد أن الآمدى قد أورد تلك الحجج كما انتهت اليه ، وانها لم تكن من وضعه هو ، وأن كل فضيلة فيها هو فضل الجمع والعرض والربط ٠

وعندما انتهى من هذا الفصل قال : « تم احتجاج الخصمين بحمد الله ، وانما أبتدىء بذكر مساوىء هذين الشاعرين ، لأختم بذكر محاسنهما ، وأذكر طرفا من سرقات أبى تمام واحالته وغلطه وساقط شعره ، ومساوىء البحترى فى أخذ ما أخذه من معانى أبى تمام وغير ذلك من غلط فى بعض معانيه ، ثم بين معنى هذا وذاك ، فان محاسنهما تظهر فى تضاعيف ذلك وتتكشف ، ثم أذكر ما انفرد كل واحــــد منهمــــا من معــان سلكها ولم يسلكها صاحبه ، وأفرد بابا لما وقع فى شعريهما من التشبيه وبابا للامثال ، ثم أختم الرسالة فأضع عند ذلك بابا لاختيار المجرد من شعريهما ، وأجعله مؤلفا على حروف المعجم ليقرب متناوله بالاختيار المجود ويسهل حفظه وتقع الاحاطة به (١) ٠

وعلى ذلك نستطيع أن نستخلص من أقواله هذه روحه فى الدراسة ، فهى روح ناضجة ، وروح منهجية حذرة ويقظة ، وهو يتناول الخصـومة كرجل بعيد عنهما يريد أن يحدد عناصرها ويعرضها ويدرسها ، فان قصر حكمه على الجزئيات التى ينظر فيها ، فقد يكون البحترى أشــــعر فى باب من أبواب الشعر أو معنى من معانيه ، وقد يكون أبو تمام أشعر فى ناحية

أخرى ، أما اطلاق الحكم وتفضيل أحدهما على الآخر جملة ، فهذا مايرفضه الآمدى ولا يحب أن يطلق على أيهما أشعر لتباين الناس فى العلم واختلاف مذاهبهم فى الشعر ولا يرى لأحد أن يفعل ذلك ، فيستهدف أحد الفريقين ، لأن الناس لم يتفقوا على أى الأربعة أشعر : امرىء القيس ، والنابغة وزهير ، والأعشى · ولا على جرير ، والفرزدق ، والاخطل ، ولا بشار ومروان ، ولا على أبى نواس وأبى العتاهية ومسلم ، لاختلاف آراء الناس فى الشعر وتباين مذاهبهم فيه ·

« فان كنت أدام الله سلامتك ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ، ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة ، وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق ، فالبحترى أشعر عندك ضرورة ·· وان كنت تميل الى الصنعة والمعانى الغامضة ، التى تستخرج بالغوص والفكرة ولا تلوى على غير ذلك ، فأبو تمام عندك أشعر ، دون أن أغضل أحدهما على الآخر ، ولكنى أقارن بين قصيدتين من شعرهما اذا اتفقا فى الوزن والقافية وأعراب القافية وبين معنى ومعنى ، فأقول أيهما أشعر فى تلك القصيدة ، وفى تلك ، ثم أحكم أنت حينئذ على جملة ما لكل فيهما ، اذا أحطت علما بالجيد والردىء » ·

اذن فالآمدى لا يريد أن يتحيز لأحدهما على غير بينة أو عن هوى ، انما يلاحظ أن من ينتصر لهذا الشاعر أو ذاك انما يفعل ذلك لميله الى اتجاه خاص فى الشعر ، وأما هو فلا يريد أن يفصح بتفضيل أحدهما على الآخر تفضيلا مطلقا ، ولكنه يقارن بينهما مقارنات موضوعية ، ويترك الحكم الكلى للقارىء ، وهذا بلا شك منهج علمى سليم ، ومذهب رجل يرى المذاهب المختلفة ، ويقبلها ، ويسجلها ، ثم منهج ناقد دقيق يرفض كل تعميم مخل ويقصر أحكامه على ما يعرض من تفاصيل ·

ونستطيع أن نقرر أن الآمدى لم يقصد الى التحيز لأحد الشاعرين ضد الآخر ، وذلك اذا أخذنا بأقواله السابقة ، ولكننا لا نستطيع أن نكتفى بتلك الأقوال فقد تكون روح الناقد الفعلية مخالفة للخطة التى يعلنها ، وقد يكون فى نقده ما يتعارض مع تلك الخطة ·

يجب أن نفرض فرضا كهذا وذلك لان كل تلك الأقوال لم تمنع النقاد اللاحقين بأن يتهموا الآمدى بالتعصب على أبى تمام ، حتى بلغ الأمر أن رأى فيه الباحثون المحدثون مقابلا للصولى فى تعصبه لذلك الشاعر ، فمن أين أتت هذه التهمة ؟!! ·

ذوقه الأدبي وتعصبه

للفصل فى هذه المشكلة الهامة يجب أن نقرر :

أولا : أن التعصب معناه الفنى هو الانحياز كلية الى ما تتعصب له ، فلا ترى منه الا الخير ، وتقلب سيئاته حسنات مسوقا بالهوى متحملا الأسباب لتجميل القبيح والمبالغة في قيمة الحسن ، وهذه حالة نفسية لا وجود لها فى كتاب الآمدى لا صراحة ولا من وراء حجاب ، فهو رجل يتبع فى النقد منهجا محكما ، فيدرس ما أمامه ، معللا أحكامه ، قاصرا لها على التفاصيل التى ينظر فيها ، رافضا اطلاق التفصيل ٠

ثانيا : اما أن يفضل الشعر الطبيعى السهل على الشعر المتكلف المتصنع ، فهذا ليس سيئا ، وهو من حق كل ناقد ، والذوق هو المرجع النهائى فى كل نقد ، وانما يأتى خطر تحكيم الذوق عندما نتخذه ستارا لعمل الأهواء التحكمية ، التى لا تصدر فى أحكامها عن نظر فى العناصر الفنية ، واحساس صادق بما فيها من جمال أو قبح ، أو عندما يكون ذوقا غفلا لم تجتمع فيه « الدربة الى الطبع » كما يقول الآمدى نفسه ٠ « فالذوق الذى يعتد به هو ذوق ذوى البصر بالشعر ، وهؤلاء لا يستطيعون عادة أن يعللوا الكثير من أحكامهم ، وفى التعليل ما يجعل الذوق وسيلة مشروعة من وسائل المعرفة ، وان كنا لا نذكر أن من الأشياء أشياء تحيط بها المعرفة ولا تؤديها الصفة ، على حد قول اسحق الموصلى ، كما نؤمن بأنه ليس فى وسع كل أحد أن يجعلك فى العلم بصناعته كنفسه ، ولا يجد الى قذف ذلك فى نفسك ولا فى نفس ولده ومن هو أخص الناس به سبيلا ، ولا أن يأتيك بعلة قاطعة ولا حجة باهرة ، وان كان ما اعترضت فيه اعتراضا صحيحا ، وما سألت عنه سؤالا مستقيما ، لأن ما لا يدرك الا على طوال الزمان ومرور النهار والايام لا يجوز أن يحيط به أحد فى ساعة من النهار»

وأخيرا : فاننا نؤمن بأنه « لن ينتفع بالنظر الا من يحسن أن يتأمل ، ومن اذا تأمل علم ومن اذا علم أنصف (١) » ٠

الى كل تلك الحقائق فطن الآمدى على نحو يدعو الى الاعجاب ، وهو فى ذلك يعود بنا الى التقساليد الأدبية الجميلة ، الصادقة النظر كتقاليد ابن سلام ، الذى تحدث عن الفروق بين المثقف وغير المثقف أصدق الحديث .

وبالرجوع الى كتاب الموازنة نفسه نجد أن المؤلف لم يتعصب للبحترى ، كما لم يتعصب ضد أبى تمام ، وانما هذه تهمة اتهمه بها النقاد واللاحقون عندما فسد الذوق ، وغلبت الصنعة والتكلف على الأدب العربى ، ونظر هؤلاء المتأخرون فى بعض انتقادات الآمدى لسخافات أبى تمام ووساوسه ، ولم يوافقوا على تلك الانتقادات لفساد أذواقهم فقالوا : ان الرجل متعصب ضد أبى تمام ، وهذا ظلم يجب أن نرده ، والتهم لا تقوم الا بعد استقصاء لأقواله ، ولا تصدر الا عن نظر شامل فى كل ما قاله، والامر أنه قد أعجب بأبى تمام فى غير موضع ، ودافع عنه أكثر من مرة ، كما أنه لم يغب عنه أن ينقد البحترى نقدا مرا كلما وجد فيه مغمزا ، وأن يفضل عليه أبا تمام ، وهذه وقائع يجب أن نظهرها ، لأنه لا يكفى لكى نتهم الآمدى بالتعصب أن نورد مثلا أو مثلين نخالفه فيها ، ثم نستنتج أنه قد تعصب ضد أبى تمام أو تعصب ضد البحترى .

الذى لاشك فيه أن الآمدى لم يكتب كتابه أيام عنف الخصومة بين أنصار أبى تمام والبحترى ، وذلك لأن أبا تمام توفى سنة ٢٣١هـ والبحترى ٢٨٤هـ والمعركة قد احتدمت فيما يظهر بعد موتهما مباشرة ، حتى بلغت أقصاها فى أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع ، ونحن وان كنا لا نملك من الكتب التى الفت فى تلك الفترة غير أخبار أبى تمام للصولى الا أننا نجد فى هذا الكتاب ما يكفى للدلالة على مبلغ الاسراف والعنف ، اللذين صحبا تلك المنازعات حول الشاعرين ، فالصولى كما رأينا هو الذى يجب أن يتهم بالتعصب لأبى تمام ، وهو الذى يجب أن يرفض الكثير من أحكامه ، بل ومن أخباره ، لوضوح هواه وفساد ذوقه ، وكثرة ادعائه.

واما الآمدى فقد جاء بعد أن كان الزمن قد هدأ من حدة الخصومة ، وكان الأدباء قد أخذوا فى الالتفاف حول رجل آخر هو المتنبى .

جاء الآمدى اذن بعد تراخى الزمن فوجد عدة رسـائل فى التعصب لهذا الشاعر أو ذاك ، كما وجد ديوانهما قد جمعا ، وتعددت منهما النسخ قديمة وحديثة ، ونظر فى كل تلك الكتب فوجد فيها اسرافا فى الأحكام ، وعدم دراسة تحقيقية ، وضعفا فى التعليل أو قصورا ، فتناول الخصومة بمنهج علمى أشـبه ما يكون بمناهجنا اليوم ، بحيث نعتقـد أن هذا الكتاب خير ما نستطيع أن نضعه بين أيدى الدارسين كمثل يحتذى للمنهج الصحيح ٠

الآمدى وتحقيقه للنصوص الأدبية

نلاحظ أن المؤلف يرجع الى النسخ القديمة حين يحقق الأبيات ، والى هذا يشير غير مرة فى كتابه فيقول (ص ٨٩) « حتى رجعت الى النسخة العتيقة التى لم تقع فى يد الصولى وأضرابه ، وذلك عند نظرة فى قول أبى تمام ٠

دار أجل الهوى عن أن ألم بهـا　　　فى الركب الا وعينى من منـائحها

وفى ص : ١٦٥ يقول : « وما رأيت شيئا مما عيب به أبو تمام الا وجد فى شعر البحترى مثله الا أنه فى شعر أبى تمام كثير وفى شعر البحترى قليل ، ومن ذلك اضطراب الأوزان فى شعر أبى تمام ، وقد جاء البحترى ببيت هو عنده أقبح من كل ما عيب به أبو تمام ، ومن هذا الباب قوله :

ولمـــاذا تتبع النفس شـــيئا　　　جعـــل الله الفـــردوس منه براء

ثم يضيف : وكذلك وجدته فى أكثر النسخ جعل الله الخلد منه براء « فان لم يكن هذا فقد تخلص من العيب ٠

وهكذا نراه يرجع الى النسخ الأخـــرى لتحقيق النص قبل الحكم عليه ، وذلك سواء أكان الشعر من شـــعر أبى تمام كما رأينا فى البيت الثانى أو من شعر البحترى ، وهذه أولى مراحل النقد المنهجى الســـليم المستقيم ٠ ـ

والآمدى كذلك يملك روح النقد العلمى ، الذى ينظر فى صحة نسبة الشـعر ، وهو فى ذلك تلميذ لابن ســـلام ، ومن ثم نراه لا يقبل ما ينسب الى الأعراب انتحالا ، ولدينا فى الجزء الذى لا يزال مخطوطا من الموازنة مثل دال فى هذا ، يتحدث المؤلف بمناسبة أبيات يدرسها عن التقسيم ، فيقول : « كان بعض شيوخ الأدب تعجبه التقسيمات فى الشعر ، وكان مما يعجبه قول عباس بن الأحنف :

وصـــالكم هجر وحبكم قلى　　　وعطفكم صـــد وســلمكم حرب

ويقول هذا أحسن من تقسيمات اقليدس ، وقال أبو العباس ثعلب : سمعت سيد العلماء يستحسنه يعنى ابن الأعرابى ، وليس هو عندى من كلام الأعراب وهو بكلام المولدين أشبه :

وأدنو فتعصيني وأبعد طالبا رضاها فتعتد التباعد من ذنبي

وشكواي تؤذيها وصبري يسوءها وتخرج من بعدى تنمر من قربي

والآمدى في هذا لا يكتفي بملكاته الخاصة فى دراسة هذين الشاعرين والموازنة بينهما ، كما لا يكتفي بنسخ السابقين على نحو ما فعل غيره فيمن يروون أحكام الخبر ، أو ينقلون عن السابقين مع اغفال ذكر أسمائهم - لم يفعل الآمدى شيئا من هذا ، وانما فعل كما نفعل نحن اليوم عندما نريد دراسة مسألة من المسائل ، فنجمع الكتب التى وضعت في تلك المسألة ، وننظر فيها بنفس ما نقل منها ، ونعتمد ما نعتبره كسبا نهائيا ثم نراجع ما نراه خطأ ، ونكشف عما ترك من الظلال •

ولقد جاء الآمدى كما قلنا بعد أن كانت الخصومة حول البحترى الذى يمثل عمود الشعر وبين أبي تمام كرأس لمذهب البديع ، قد أسالت مدادا كبيرا ، وكانت الكتب العديدة قد ألفت فى كل ناحية من نواحيها ، فكان من مقتضيات المنهج الصحيح أن يجمع كل تلك الكتب ويدرسها قبل أن يأخذ هو فى الموازنة بينها وهذا ما فعله •

نظر فوجد « أكثر من شاهد وراو من رواة الاشعار المتأخرين يزعمون أن شعر أبى تمام حبيب بن أوس الطائى لا يتعلق بجيده جيد مثله ، ورديئه مطروح ومرذول - فلهذا كان مختلفا لا يتشابه ، وأن شعر الوليد بن عبيد الله البحتري صحيح السبك حسن الديباجة ليس فيه سفاسف ولا رديء ولا مطروح ، ولهذا صار مستويا يشبه بعضه بعضا ، فوجدهم قد اختلفوا بينهما لغزارة شعريهما ، وكثرة جيدهما وبدائعهما ، ولم يتفقوا على أيهما أشعر ، كما لم يتفقوا على أحد مما وقع التفضيل بينهم من شعراء الجاهلية والاسلام والمتأخرين ، وذلك كمن فضل البحترى ونسبه الى طلاوة النفس ، وحسن التخلص ووضع الكلام فى مواضعه ، وصحة العبارة ، وقرب المأتى ، وانكشاف المعنى ، وهم الكتاب والأعراب

والشعراء المطبوعون وأهل البلاغة ، ومنهم من فضل أبا تمام ، ونسبه الى غموض المعاني ودقتها ، وكثرة ما يورد مما يحتاج الى استنباط وشرح واستخراج ، وهؤلاء أهل المعاني والشعراء وأصحاب الصنعة ، ومن يميل الى التدقيق وفلسفة الكلام ، وان كان كثير من الناس قد جعلهما طبقة وذهب قوم الى المساواة بينهما ، وانهما لمختلفان ، لأن البحترى أعرابى الشعر ، مطبوع على مذهب الأوائل ، وما فارق عمود الشعر المعروف ، وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ، ووحشى الكلام ، فهو بأن يقاس بأشجع السلمى ومنصور ، وأبى يعقوب وأمثالهم من المطبوعين أولى ولأن أبا تمام شديد التكلف ، صاحب صنعة ، مستكره الألفاظ والمعاني ، وشعره لا يشبه أشعار الأوائل ولا هو على حد طريقهم ، لما به من الاستعارات البعيدة ، والمعاني المولدة : فهو بأن يكون فى حيز مسلم بن الوليد ومن حذا حذوه أحق وأشبه وعلى أنى لا أجد من أقرنه به ، لأنه ينحط عن درجة مسلم ، لسلامة شعر مسلم ، وحسن سبكه وصحة معانيه ، ويرتفع عن سائر من ذهب هذا المذهب ، وسلك هذا الاسلوب لكثرة محاسنه وبدائعه واختراعاته ، ولست أحب أن أطلق الحكم بأيهما أشعر (١) .

وهذا كلام ناقد مؤرخ يرى الخصائص ، ويفسر الظواهر ، ويحاول أن يقيم التسلسل بين المذاهب المختلفة ، فهو يخبرنا عمن يفضلون أبا تمام « أهل المعاني والشعراء وأصحاب الصفة ، ومن يميل الى التدقيق وفلسفة الكلام » .

وهو يحدثنا عن مذهب كل منهما « عمود الشعر عند البحترى ، والبديع عند أبى تمام » .

وهو يربط بين الشعراء المعاصرين للبحترى من مذهب أشجع السلمى ومنصور وأبى يعقوب ، وأبو تمام يكون فى حيز مسلم بن الوليد ومن حذا حذوه أحق وأشبه ، وهذا ليس تعصبا ، وهو وان فضل شعر مسلم على شعر أبى تمام ، فانه لم ينكر على هذا الأخير أكثر محاسنه وبدائعه واختراعاته ، كما يرفض أن يطلق الحكم بأيهما أفضل .

النقد الموضوعى عند الآمدى

بعد أن تحدث الآمدى عن السرقات التى نسبت الى كل منهما ، أخذ فى دراسة النقد الموضوعى فتحدث عن :

١ ـ أخطاء أبى تمام وعيوبه وأخطاء البحترى وعيوبه ٠

٢ ـ محاسن أبى تمام ومحاسن البحترى ٠

٣ ـ الموازنة التفصيلية بين الشاعرين اللذين يتتبع معانيهما معنى معنى ٠

وهذه الأبواب ليست متســـاوية فى القيمـــة ولا فى الكمية ، فباب الأخطاء والعيوب يشمل جانبا كبيرا من الكتاب (أخطاء أبى تمام) وعيوبه من ص ٥٤ ـ الى ١٢٤ ، وأخطاء البحترى وعيوبه من ص ١٥٠ الى ١٦٦)، وأما باب محاسنهما فلا يعدو عدة صفحات (من ص ١٦٥ الى ١٧٤) ، وعلى العكس من ذلك باب الموازنة التفصيلية واستقصاء المعانى فهذا هو الجزء الأساسى من الكتاب ٠ ولقد نشر بعضه (من ص ١٧٤ ـ الى ١٩٧ من الكتاب المطبوع) وأما الباقى فلا يزال مخطوطا وقد قارناه بصـــورة فوتوغرافية لهذا الجزء الموجود بدار الكتب المصرية ضمن صورة كاملة للكتاب من أربعة مجلدات : المجلدان الأولان يشتملان على الجزء المنشور من ص ١ الى ١٧٤ ، والمجلدان الأخيران يبـــدآن من ص ١٧٤ الى ١٨٧ الجزء المنشور ، ثم يســـتمران الى أن ينتهيا عنـــد باب المديح ، أول ما أبدأ به من مدائحهما ذكر السؤدد والمجد وعلو القدر ، ثم ما يخص من ذلك دون غيرهم من الخلافة وما يتصرف عليه القول من معانيهما مثل ذكر الملك والدولة وذكر ما يختص أهل بيت النبوة من المدح دون سواهم ، ومن ذلك ذكر طاعتهم والمحبة لهم والمعرفة لحقهم ، وذكر الآلة التى كانت للنبى صـــلى الله عليـــه وســـلم فصـــارت اليهم ، وذكـــر علو القدر وعظم الفضـــل ، وذكر تأييـــد الدين وتقوية أمره ، وذكر الرأفة والرحمة ، وذكر افاضة العدل ، واقامة الحق ، وذكر سداد الرأى وحسن السياسة والتدبير والاطلاع بالامور والحلم والعقل ، وذكر الجلال والجمال وما اليها والجهارة والهيبة ، وذكر كرم الأخلاق ، وذكر ما ينبغى أن يمدح به من الشجاعة والبأس ٠٠ وبالفعل يستعرض الآمدى كل هذه المعانى بشأن

الخلفاء الى أن ينتهى المخطوط عند الجلال والجمال وما اليهما والجهارة والهيبة ، وذكر الأخلاق ولينها ، وذكر ما ينبغى أن يمدح به من الشجاعة والبأس ٠ وهذه هى المعانى التى أكثر منها الشـاعران ، بل كل شعراء العرب ، كما لا نجـد مدحا من دون الخـلفاء من ولاة وأمراء ووزراء وغيرهم ، ممن مدح الشاعر كما ترى فى ديوانيهما ، وانها حقا لخسـارة كبيرة حين لا نستطيع أن نعثر على بقية الكتاب ، خصوصا وأن الباقى منه يمثل جزءا كبيرا جدا ، وفى الجزء الذى لدينا أدلة واشـارة واضحة للجزء المفقود ، منها قول المؤلف فى اللوحة ٢٤ ، وقال أبو تمـام فى خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى ٠

وقـد كـان مدـا يضـنى السريـر
والبهـو يمـلؤه بالبهـاء
مضى خـالد بـن يـزيد بـن مـزيد
قمـر الليـالى وشـمس الضحـاء

ويضيف « وهذا يمر فى المراثى »

أذن فهناك باب فى المراثى التى قالاها والموازنة بينهم لم يصلنا ، وهناك هو أكثر من ذلك ٠٠ فالمؤلف يقول (ص ٢٣) وأفراد بابا لما وقع فى شعريهما من التشبيه وبابا للامثال ، وأختم بهما الرسالة ، وأضع ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما ، وأجعله مؤلفا على حروف المعجم ، ليقرب من متناوله ويسهل حفظه ، وتقع الاحاطة به ان شاء الله ٠ وليس لدينا فى الجزء المنشور ولا فى المخطوط هذان البابان عن التشبيه والأمثال فهما لاشك ضمن الجزء المفقود وهذه كلها مسائل شاملة ٠

الفصل الثاني

تبويب الكتاب عند المؤلف

أبواب الكتاب :

وكتاب الموازنة عند أبي الحسن الآمدى مقسم الى اثنى عشر قسما ، وكل قسم دعاه المؤلف بابا ٠

١ ـ فالباب الأول (من ص ١ ـ ص ٤٦) وفيه أورد المؤلف محاجة مفندة ومدعمة بالادلة والبراهين ، ويبين كلا من أصحاب أبى تمام المتعصبين له وأصحاب البحترى المفضلين اياه ٠ ومنهم المؤلف الذى ينتحل الأعذار للبحترى بلسان مرهف حاد ٠

٢ ـ والباب الثانى من (٤٦ ـ ١٢٠) وفيه أحصى الآمدى سرقات أبى تمام الشعرية ، وذلك بعين الباحث المنقب ٠

٣ ـ والباب الثالث من (١٢٠ ـ ٢٢٦) وهنا عدد الآمدى وندد فى شىء من التحامل والتعصب على الرجل من أخطاء أبى تمام فى الألفاظ والأساليب والمعانى ٠

٤ ـ والباب الرابع من (٢٢٨ ـ ٢٧٢) وذكر فيه أخطاء أبى تمام من قبيح الاستعارات ومستكره الجناس ، ومرذول الألفاظ ، ومستهجن الطباق وسوء النظم وفساده ٠ والحق يقال أن مثل أبى تمام فى شعره كمثل القاضى الفاضل فى نثره فلقد أولع كلاهما بفن البديع حتى خرجا الى التكلف الممجوج ٠

٥ ـ والباب الخامس من (٢٧٣ ـ ٢٧٥) وفيه أخطاء أبى تمام من الزحاف واضطراب الوزن وكأنى بثلاثة أرباع الموازنة قدحا فى الطائى ٠

٦ ـ الباب السادس من (٢٧٧ ـ ٣٤٧) وفيه أحصى سرقات البحترى من أبى تمام وغيره ٠

٧ ـ الباب السابع من (٣٤٨ ـ ٣٧٩) وذكر فيه أخطاء البحترى فى المعانى التى دافع عن الكثير منها ٠

٨ ـ الباب الثامن من (٣٨٠ ـ ٣٨٢) يومىء فيه الى اضطراب البحترى فى الوزن واختلاله فيه ٠

٩ ـ الباب التاسع من (٣٨٣ ـ ٣٨٩) أورد فيه رأيه فى النقد وطريقه ، وكيف يكون الناقد ؟ واستدل فيه بآراء النقاد ٠

١٠ ـ الباب العاشر من (٣٨٩ ـ ٣٩١) وفيه فضل البحترى على أبى تمام كشاعر ٠

١١ ـ الباب الحادى عشر من (٣٩١ ـ ٣٩٥) وفيه ذكر فضل البحترى ، وأنه الشاعر القائم بعمود الشعر ٠

١٢ ـ الباب الثانى عشر من (٣٩٦ ـ ٤٥٥) وهنا الموازنة الوحيدة بين الشاعرين وذلك فى الوقوف على الأطلال ، والبكاء على الآثار ، وهى مطالع القدماء من الشعراء ٠ والكتاب من الحجم المتوسط بتعليق محمد محيى الدين عبد الحميد ٠

الموازنة

والآمدى ـ رحمه الله ـ يسمى كتابه (الموازنة بين أبى تمام والبحترى) ولنا أن نسأل : ما معنى هذه التسمية الموازنة ؟ وخاصة بين كتب الأدب ٠ ونقول : ان لكل اسلوبه كما أن لكل أديب نسجه وبيانه ، كذلك لكل شاعر وصفه وايقاعه ويختلف هذا عن ذاك بعدد تفاوت الوجوه ، وهذا التفاوت فى الأسلوب والعرض والتحليل والتناول والتصوير يفرض بطبيعته على التذوق النفاذ خاصة الموازنة بين نص ونص ٠ والمقارنة بين بيت وآخر والمراجحة بين أدب وأدب (١) ٠ وترتبط الموازنة بالمنطق الشخصى الصرف أحيانا ، وأخرى تعتمد على التحليل والتعليل واقامة الحجج ، وثالثة دون تعليل أو تفنيد ٠

ويتطرق الآمدى فى الموازنة الى أشياء كثيرة :

منها البراعة والمهارة فى تجويد الأسلوب ، ومنها التفنن فى اقتناص المعانى الشـــاردة ، ومنها ما يرجع الى الحذق فى التصوير والتحليق ، ومنها ما يستند الى الموضوعات الأدبية أو الاجتماعية أو الأخلاقية أو غير ذلك ، وعلى الجملة فالموازنة هى :

اتجاه من اتجاهات النقد يشـغل أذهان النقاد بسبب ما يجدون من معان عامة وخاصة ٠ يشترك الأدباء والشعراء فى التعبير عنها ، ولكن لكل وصفه وأسلوبه ٠

والموازنة تنقسم الى قسمين :

١ ـ قسم يذكر دون تفسير كاف يوضح سبب امتياز أحد النصين على الآخر ويسمى مواجهة ، ومن ذلك :

أضربهـــا التجهيـــز حتى كأنهـــا
أكـسب عليهـــا جـــاذر متعـــرق

وقال جميل بثينة فى الغرض نفسه :

أضربهـــا التجهيـــز حتى كأنهـــا
بقايا سـبلال لم يدمهـا لسـلالها

وقال جرير الخطفى فى المعنى ذاته :

اذا بلغـــوا المنـــازل لم تقيـــد

وفى طـــول الكلام لهـــا قيـــود

وهنا قال نصيب : ما أشعر ابن الخطفى ؟ انه يفضلنى وجميلا ·

٢ ـ فاذا ذكرت الموازنة معتمدة على اقامة العلل ، وتفنيد الحجج ، والتفسير الموضح لسبب امتيـــاز أحد النصين على الآخر ، دعيت مقارنة ومنها :

اجتمع عنـــد كثير عزة عمر بن أبى ربيعة ، والأحوص ، ونصيب ، وجلس كثير ينتقد ثلاثتهم ، فلما فرغ من انتقادهم ، أقبل عليه عمر بن أبى ربيعة يقول :

قد أنصتنا اليك فاسمع : أخبرنا عن تخيرك لنفسك ولمن تحب حيث نقول :

ألا ليتنـــا يـــا عز من غير ريبـــة

بعيران نـــرعى فى الخـــلاء ونعزب

كلانا به عـــز فمن يـــرنا يقـــل

على حســـنها جرباء تعدى وأجرب

نكون لـــذى مـــال كثير مغفـــل

فـــلا هو يـــرعانا ولا نحن نطلب

فقد تمنيت لها ولنفسك الرق والجرب والرمى والطرد والمسخ · فأى مكروه لم تتمن لها ولنفسك ؟ لقد أصابها منك قول القائل : معاداة عاقل خير من مودة أحمق ·

وكأنى بعمر بن أبى ربيعة يزهو على كثير فى خيلاء عندما يصاوله فى فن الغزل والتشبيب بالنساء ولا ريب فهو صاحب قصيدته الرائية التى مطلعها :

من آل نعم أنت غاد فمبكر ·· البيت ؟

وهى من عيون الأدب العربى ·

فهذا هو التفسير والتعليل للمقـــارنة · ولقد روى أن ثلاثتهم قاموا بعدها يتضاحكون ، وجلس كثير ينتفض جسده غضبا ·

الشــاعر

أبو تمام شاعر والبحترى شاعر ٠٠ وكذلك الآمدى شـــاعر أيضا ، وقد يتسنى لنا أن نسأل : من الشاعر ؟

هو ذلك الانســان المرهف الحس ٠ المعبر عما فى النفس ٠٠ من خواطر وهواجس ، وما يجيش فى صــدره من خوالج ، فهو كانسان يحب ويبغض ، ويحزن ويفرح ، ويأمل ويتألم ٠ وفوق هذا فالشاعر رقيق الشعور، تضطرم فى صــدره كل هذه الأغراض أو بعضــها فتفيض جياشة هادرة منحدرة على لسانه ٠ وينطق ذلك الانسان مصورا ما يحس ويشــعر ولذا قيل فى تعريفه :

هو الانسان الذى يشعر بما لا يشعر به سواه ٠ ولشفافية الروح عند الشاعر تراه يصور فى قالبه الشعرى ما تنفعل به عواطفه ، وماتهتز به نفسه فى أسلوب أدبى منظوم ومؤثر ، وتصــوير رفيع ومعبر ٠ يوقظ مشاعر السامع ، ويحرك غافى الاحساس فى نفس القارىء ٠ فى نسج ذاتى متفرد يسدى خيوط قصيدته ويضع لحمتها على طابعه المتميز ، بتظليل ألوانها زاهية وقاتمة من خلف منظاره للحياة ، ظلاما ويأسا كالمعرى حين يقول :

تأملنــا الــزمان فمــا وجـدنا
الى طيب الحيــاة بــه ســبيلا

أو مجونا وفسقا كأبى نواس المتعهر :

يــا بــدعة فى مثـــال
تجــوز حــد الصـــفات

فالبـــدر وجـــه تمـــام
بـــعين ظبـــى فـــلاة

ومطرز حواشيها بوشى من نضج ثقافة أبى تمام

وذا أراد الله نشـــر فضـــيلة
طويت أتاح لها لســان حســود

لولا اشـــتعال النار فيما جاورت

ما كان يعـــرف طيب عرف العود

أو حكمة أنضجتها التجارب كالمتنبى حين يقول :

والظلم من شيم النفوس فان تجد

ذاعفـــة فلعـــلة لا يظـــلم

وهكذا نجد تعريف ذلك للانسان الذى حبته السماء بملكة أدبية فذة ، وموهبة شعرية متفجرة على لســـانه ، قلما أتيحت للكثيرين من أمثـاله وأقرانه ، ولذا فليس ببعيد أن تقوم القبيلة العربية فى احتفال صـــاخب وتتقبل التهانى من باقى القبائل لا لشىء الا لأنه نبغ فيها وليد شـــاعر ، يحمى أعراضها ويدافع عن أحسابها ٠

النقد عند الآمدى

النقد عند الآمدى فن موهوب أكثر منه مكتسبا ٠ فالناقد هو من له موهبة فطرية وذكاء متوقد يقدر الأمور ويحسن تقـديره ، والناقد ذواقة يدرك ما فى الشعر بذوقه هو ٠ وحاسته الأدبية من جمال وقبيح ، والناقد ذو ثقافة أدبية واسعة ترتكز على الرواية والمدارسة ، ومطالعة النصوص الأدبية ٠ وفى طول الدربة والمران يقول الآمدى :

(وأنا ذاكر المعـــانى التى يتفق فيها الطائيان ، فأوزان بين معنى ومعنى ، وأقول أيهما أشعر فى ذلك المعنى نفسه ، فلا تطلبنى أن أتعدى هذا الى أن أفصح لك بأيهما أشعر عندى على الاطلاق) ٠

فالآمدى قد وازن بين الطائيين فى غرض من الشـــعر بذاته ثم أنه سوف يعلن أيهما حاز قصب السبق فيه ، ويطلب من القارىء فى أكثر من مرة أن يعفيه من مسئولية اعلان أيهما أشعر عنده على الاطلاق ، فلكل ناقد ذوقه ولكل دلوه ٠ وعقل النـــاقد هو الذوق ، ولذلك لن تجد ناقدا يستطيع أن يذكر عللا وأسبابا لرجحان شاعر على آخر فى الكثير الغالب، فالآمدى يبرز مزايا الجيد ويعددها ، وكذلك مساوىء الردىء ويدمغها ٠ ويقول

(وسوف أنبه على الجيد وأفضـــله على الردىء ، وأبين الردىء وأرذله وأذكر من علل الجميع ما ينتهى اليه التخليص ، ويحفظ به العناية ، ويبقى ما لم يكن لخراجه الى البيان ، ولا اظهاره الى الاحتجاج ، وهى علة ما لا يعرف الا بالدربة ٠ ودائم التجربة ، وطول الملابسة ، وبهذا يفضل أهل الحذاقة بكل علم وصـناعة من ســـواهم ممن نقصت قريحته وقلت دربته) ٠

والأفضل عند الآمدى أن يترك النتيجـــة ليعلنها القـارىء بنفسه ، ويحكم فيها بذوقه ، فهو يقول : (وأوكلك بعد ذلك الى اختيارك وما تقضى عليه فطنتك وتمييزك) والآمدى يضرب مثلا للنقد وفنه ، وأن الفيصل فيه للذوق وحده ، وهذا لا يتأتى الا لمن كانت له دربة ودراية ، وعنده موهبـة

وعناية ، يقول (فالبيتان من الشعر للشاعرين كالفرسين السليمين من كل عيب ، ولكن النخاس لهما قد يجعل الفرق ما بينهما فى الثمن كبيرا ، وقد يتقارب البيتان من الشعر وهما جيدان نادران ، فيعلم أهل الصناعة بالشعر أيهما أجود ، وان كان معناهما واحدا ، أو أيهما أجود فى معناه ، وان كان معناهما مختلفا) ٠

ولقد امتحن الآمدى فى فن النقد فلما طلب منه تعليل الترجيح عنده أرجع العلة فى النقد الى الذوق ٠

(سألنى محمد الأمين عن شعرين متقاربين وقال : اختر أحدهما ؟ فاخترت فقال : من أين فضلت هذا على هذا وهما متقاربان ؟ فقلت : لو تفاوتا لأمكننى التبيين ٠ ولكنهما تقاربا ٠ وفضل هذا بشىء تشهد به الطبيعة ولا يعبر عنه اللسان) ٠

ويستدل الآمدى على صحة دعواه بكلمة (خلف الأحمر) المشهورة فى النقد (وقد قيل لخلف الأحمر : انك لا تزال ترد الشىء من الشعر وتقول : هو ردىء ٠ والناس يستحسنونه ؟ فقال : اذا قال لك الصيرفى أن هذا الدرهم زائف ٠ فاجهد جهدك أن تنفقه فلا ينفعك قول غيره انه جيد) ٠

والآمدى يطلب من غير أصحاب الصنعة أن يسلموا له ولأمثاله الحكم فى الشعر ، وأن يقبلوا منهم عن رضى تلك الأحكام :

(اذا كان من الواجب أن يسلم لأهل كل صناعة صناعتهم ولا يخاصمهم فيها ولا ينازعهم الا من كان مثلهم ، نظرا فى الخبرة ، وطول الدربة والملابسة) ٠

وليست الصناعة عند الآمدى بامتلاك خزينة من الكتب . أو حفظ جملة من القصائد ، وانما هى الموهبة ، والطبع ، والملكة المصقولة على التمييز بين الأبيات ، وعلى تذوق الأساليب والوصف الفنى لقصيد من الشعر أو رسالة من النثر وأسمعه يقول :

(لا تصدق نفسك أيها المدعى ٠ وتعرفنا من أين طرأ لك الشعر ؟ أمن اجل أن عندك خزانة من الكتب تشتمل على عدة دواوين الشعراء ،

وأنت ربما قلبت ذلك أو صفحته ٠٠ الى أن يقول : لقد ظننت باطلا ورمت عسيرا ، لأن الصم أيا كان نوعه لا يدركه طالبه الابالانقطاع اليه والانكباب عليه ٠ ثم قد يتأتى جنس من العلوم طالبه ويسهل ويمتنع عليه جنس آخر ويتعذر ، فينبغى أن تقف حيث وقف بك وتقنع بما تسم لك (١) ٠

وهذه وسائل النقد عند الآمدى وتعريف الناقد عنده ٠

بين الجمال والجلال :

من القضايا النقدية ، التى سبق بها الآمدى زمانه وعصره ، قضية الجمال والجلال ، أو الجمال والحلاوة ، والفرق بينهما وحينما ميز بينهما النقد الغربى حديثا ، ظن النقاد الأجانب أن هذا من بدع عصرهم وابتكاره٠

وهذا خطأ ، فمنذ أحد عشر قرنا ، شـــهد النقد العربى القديم هذه القضية ، وحددها وفصل القول فيها ، وخاصـــة الآمدى فى « الموازنة » والقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى فى « الوساطة » ٠

وفرق الآمدى بين الجمـــال فى النقـــد ، فجعله محددا ، يقوم على التعليل ومعرفة الأسباب ، فقواعده مقررة ، يحددها الذوق الأدبى ، وبين الحلاوة « الجلال » التى تأخذ بمجامع القلوب ، وتهز المشاعر والوجدان ، اذا ما فتشت عن أسباب الانبهار والتأثير لا تقف على سبب معين أو قاعدة مقررة (٢) ٠

ودفعا للتكرار فقد تناولت هذه القضـــية الخطيرة بالتفصيل ، فى نقدنا العربى القديم والأصيل ، وذلك فى كتابى « الصورة الأدبية : تاريخ ونقد » (٣) ، وشرحت مفهوم كل منهما والمعالم المميزة لهما ، وغير ذلك مما يوضح أصالة النقد الأدبى العربى ٠

الباب الثانى

عمود الشعر عند النقاد

١ ـ مفهوم عمود الشعر العربى

٢ ـ الخصائص الفنية لعمود الشعر العربى

٣ ـ عمود الشعر بين النقاد

٤ ـ عمود الشعر بين الالتزام وعدمه

الفصل الأول

مفهوم عمود الشعر العربى

مفهومه ومعناه :

فلك التعبير الشائع عند النقاد من العرب وهو ما يقصدون به فى ذلك الفن ؟ وهو الاشتغال بالأدب ٠

يقصدون به تلك التقاليد المتوارثة ، التى سبق اليها الشعراء الأوائل واقتفاها من جاء بعدهم حتى صارت سنة متبعة ، وعرفا متوارثا ، وهو اصطلاح جديد ظهر فى العصر العباسى ، وتردد منذ القرن الثالث الهجرى ٠ ثم شاع وتداوله النقـــاد فى القرن الرابع ٠ ذلك القرن الذى حفلت فيه مختلف التيارات الأدبية والنقدية ٠ واشتهر هذا الاصطلاح عند من جاء من النقاد بعد ذلك وحتى اليوم ٠

يقول الدكتور (محمد عبد المنعم خفـاجى) : وهو من نقاد العصر الذين تحدثوا عن هذا الفن ٠ معرفا عمود الشعر (١) :

هو كل التقاليد الفنية التى التزمها القصاد فى قصائدهم من الأفكار والمعـانى والأخيلة والأوزان والقوافى والألفاظ والأســاليب والصــور وغيرها ، فهذه التقاليد جميعها هى عمود الشعر ، والذى حتم الكثير من النقاد التزامه ، والسير على منواله وسموا ما جاء على نمطه من قصائد شعرية للقدماء ، ومن جاء بعدهم قصائد عمودية أو قصائد تلتزم عمود الشعر ٠

وكثرة قضايا اختلاف النقاد كانت فى عمود الشعر والتزامه عند بعض الشعراء ، وما طرأ عند الآخرين والأحكام المنصفة فى النقد كانت تحتكم اليه ٠ أى الى هذه التقاليد الفنيـة الموروثة عن الشعراء الجاهلين والاسلاميين فى القصيدة العربية التى هى عمودية الشعر ٠

وقد يكون لنا أن نسأل : لم دعيت هذه التقاليد الفنية بعمود الشعر ؟

ونسب هذا العمود الى الشعر العربى ؟

والاجابة عن الســؤال الأول : وهى أن هذه التقاليد الفنية وهى : الأفكار والمعانى والأخيلة والأوزان والقوافى والالفاظ والاساليب والصور شبهت بالعمود الفقرى فى هيكل الانسان ٠ كما أن مجموعها يمثل الأعمدة

والأسس التى تبنى عليها القصيدة العربية ، ذلك أن هذه التقـاليد الفنية فى مواد البناء للقصـــيدة الشعرية ، وبدونها لا تقوم للقصيدة قائمة ، أو تقوم على تشويه وخلط فى صورتها ٠

أما نسبة (١) العمود الى الشـــعر العربى ، ولم ينسب الى الشعر اليونانى أو الفارسى أو اللاتينى أو غير هؤلاء ، فذلك ليس لأن شعر هؤلاء شعر قصصى ، فذلك موجود فى شـــعر العرب ، وهو ما يقصد منه جمع التاريخ وحفظ الأخبـــار ، ولكنهم لم يطيلوا فيه اطالة الالياذة وغيرها ٠ فالفرس يفضلون العرب فى الاطالة كما فعل الفردوسى فى نظم (الشاهنامة) وهى ستون ألف بيت من الشعر ، تشتمل على تاريخ الفرس ٠

ولكن السبب هو أن شـــعر العرب كلى وجدانى ٠ ينزع عن العاطفة ويمنح عن الوجدان فهو شعر غنائى بالصبغة الأولى ٠

فعندما تهيج عاطفة الشاعر ويلذع الشوق قلبه ٠ ويضطرم وجدانه ينسكب الشعر على لسانه ارسالا ٠

وكان شاعر الجاهلية أول ما يبدأ فى قصيدته ، التى اياها يشـيد ويبنى ، فهو معتمد على الغزل والتشبيب بمحبوبته ، وهذا كعب بن زهير يقول فى بردته :

بانت ســـعاد فقلبى اليوم متبول
متيم اثـــرها لم يفـــد مكبـــول

واصـــفا ارتحالها ونزوحها عن المنازل ، التى كان فيها درجة ، والبكاء على بعدها وما خلفه لدى الشاعر من الجوى والحنين ، واستبكاء الأصـــحاب أمام أطلال المنـــازل النازحة البعيدة ، وذاك امرىء القيس رائد الشعر يشدو بحنينه :

قفـــا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخـــول فحومل

ثم يأخذ شاعر الصف الأول فى وصف ما يشاهده من الآثار ، التى خلفها قوم المحبوبة عند الارتحـــال ، والصـــحراء وما قاسى من جوها

وعاصف ريحها وظلام ليلها ، ومما صادف من وحشيها • وفجائعها ، ثم يتخلص من ذلك فى لطف وتسلسل مقبول الى غرض قصيدته مدحا كان أو وصفا ، أو للفخر أو حكاية حال ، وهذا يتفق تماما مع حركة وجدان الشاعر العربى وفطرته ، التى جبل عليها والتى تجيش بالغليان طفرة ثم يعبر مصورا فى تلك الأونة عما يعتلج فى فؤاده ، ويضطرم بنفسه ، وعلى ذلك المنهج ابن قتيبة فى كتابه الشعر والشعراء حيث يقول (١) :

(أن مقصد القصيدة انما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار فبكى وشكا • وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها • ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدة الوجد ، وألم الفراق ، وفرط الصبابة والشوق ليميل نحوه القلوب ، ويصرف اليه الوجوه ، وليستدعى به أصغاء الأسماع اليه • لأن النسيب قريب من النفوس ، لائط بالقلوب • فاذا علم أنه قد استوثق من الاصغاء اليه والاستمتاع له عقب بأيجاب الحقوق ، فرحل فى شعره • وشكا النصب والسهر وسرى الليل وحر الهجير وأنضاء الراحلة والبعير ، فاذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمامة التأميل ، وقرر عنده ما ناله من المكاره فى السير . بدأ فى المديح • فبعثه على المكافأة وهزه للسماح • وفضله على الأشياء ، وصغر فى قدره الجزيل) •

وتقدم الزمن وجاء العصر العباسى ، وأينعت فيه الحضارة الاسلامية بما أخرجته العقول • وما عصرته القرائح بعد ذلك التبادل الثقافى وحركات الترجمة • وتشجيع الخلفاء العباسيين وعكوف الكتاب ، يقطفون من ثمار هذا العصر •

وأذا بحركة الوجدان تتغير ويتبدل شكلها ، وأذا بأبى نواس يطالعنا ناعيا هذه المطالع مهجنا ذلك الطريق البالى العتيق ، ألا وهو الوقوف على الديار والبكاء على الأطلال • ووصف الآثار الباقية ، والتسليم عليها ، وسؤالها عن الأحبة النازحين عنها ، فيرفع عقيرته منددا بمطالع القصائد الجاهلية ، مستبدلا بها ذكر الخمر ووصف الصهباء ، والتغنى بنعوتها ، ومن الطرب والنشوة ما تصنعه الخمر بالعقل الكثير فيقول :

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند
واشرب على الورد من حمراء كالورد

ويقول :

أيا باكى الأطلال غيرها البلى
بكيت بعين لا يجف لها غرب

اتنعت دارا قد عفت وتغيرت
فانى لما سائلت من نعتها حرب

ويقول :

صفة الطول بلاغة القدم
فاجعل صفاتك لابنة الكرم

ويقول :

دع الوقوف على ربع وأطلال
ودمنه كسحيق اليمن البالى

وعج بنا نصطبح صفراء واقدة
فى حمرة النار أو فى رقة الآل

وكانت هذه دعوة جديدة للخروج على مطالع الجاهليين وعمود الشعر ، كان هذا الماجن الخليع (أبو نواس) شعوبيا فى مذهبه كما يقول هو : (١)

عاج الشقى على رسم يسائله
وعجت اسأل عن خمارة البلد

تبكى على طلل الماضين من اسد
ثكلت أمك قل لى من بنو أسد

ومن تميم ومن قيس ومن يمن
ليس الأعارب عند الله من أحد

ودعا أبو نواس الى أن تفتتح القصائد الشعرية بأوصاف الراح ونعوتها وتابعة فى ذلك (ابن المعتز) الشاعر الناقد ، والذى كان يبحث فى الصلة بين الأدب والحياة ، ويحاول الملاءمة بينهما • وينادى بتحضر الشعوب ورقيه وترك روح البداوة فيه وصبغة الجاهلية عليه يقول ابن المعتز :

أحسن من وقفة على طلل
ومن بكاء فى أثر محتمل
كأس مدام أعطتك فضلتها
كف حبيب والنقل من قبل

وليم الشاعر الماجن (أبو نواس) على دعوته الجديدة الى تعاطى الخمر وتزيين رجسه ، فعاد الى السخرية ثانية من ذكر الأطلال ، والتنادر بالوقوف على الآثار ، فقال مكرها ساخرا :

أعر شعرك الأطلال والمنزل القفرا
فقد طالما أزرى به نعتك الخمرا
دعانى الى نعت الطلول مسلط
تضيق ذراعى أن أرد له أمرا
فسمعا أمير المؤمنين وطاعة
وان كنت قد جشمتنى مركبا وعرا

وهل تحرر أبو نواس من القيود الفنية للقصيدة العربية ومن عمود الشعر ونهج طريقه واحتذى أسلافه من الشعراء ؟ وها هوذا يصف من يقف على الديار ويبكى الآثار ويصف الزمن ، ويسائل الأطلال والاحجار بالعى والفهاهة وتفاهة الخيال ، وركود الذهن ، ذلك لأنه يرى أن التشبيب انما يكون بالخمر الصهباء ، ووصف محاسنها وتعديد فضائلها وجمال حمرتها الزاهية • ورقتها الصافية •

والجواب (١) : انما كانت هذه الدعوة زيا من أزياء العصر العباسى الأول ، الذى يعيشه أبو نواس ، والذى تفشى فيه شرب الخمر ، والعكوف على الخمارات والعب منها ، والحقيقة أن أبا نواس استبدل قيدا بقيد ، فلما مضى الزمن وجاء العصر العباسى الثانى وجدنا شاعره (المتنبى) يتحرر بالفعل ، وفى أحيان كثيرة من مطالع الغزل لقصائده الشعرية ، فيمدح سيف الدولة الحمدانى ، ويقول فى مطلع قصيدته (٢) :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم

وتأتى على قدر الكرام المكارم

فقد بدأها بالحكمة - ينتزعها من الجو الذى يسايره ٠

واذا ما أراد المتنبى أن ينشىء قصيدة فى العتاب ابتدأ بقوله

ما لسيف الدولة اليوم عاتبا

فداه الورى السيوف ضاربا

وهكذا نجد أن الذى تحرر من مطالع الجاهليين للقصيدة الشعرية حقا هو المتنبى فى العصر العباسى الثانى ، وليس أبا نواس الذى استبدل قيدا بقيد ٠

الفصل الثانى

الخصائص الفنية لعمود الشـــعر العربى

١ ـ خصائص اللفظ

٢ ـ خصائص المعنى

٣ ـ خصائص النظم والتراكيب

خصـــائص اللفظ

نجد العرب يتطلبون فيه الجزالة ، والاستقامة ، والمشاكلة للمعنى ، وشدة اقتضائه للقافية ٠

وما تطلبوه فى مفهوم المعنى الجزئى هو شرف المعنى وصـحته ، والاصابة فى الوصف ، وأما ما يخص تصـوير المعانى الجزئية فى البنية العامة للقصـــيدة فهو المقاربة فى التشــبية ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ثم التحام أجزاء النظم والتئامها (١) ٠

وعلى ذلك نلاحظ أن جزالة اللفظ تتوافر له اذا لم يكن غريبا ، ولا سوقيا مبتذلا (٢) ، ومعياره أن يكون بحيث تعرفه العامة اذا سمعته ولا تستعمله فى محاورتها (٣) والأمثلة كثيرة نقتصر منها على قول الحطيئة:

يرســـون أحـلاما بعيــدا أناتها
وان غضبوا جاءوا الحفيظة والجد

أقلوا عـــليهم لا أبـــا لأبيـــكم
من اللوم أو ســد المكان الذى سدوا

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنى
وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا

وبهذه القاعدة عابوا كثيرا من شعر المحدثين ، وفى هذه القاعدة تكتسب الألفاظ نبلا يشـــبه النبل الطبقى ، وفيها اغفال لموقع اللفظ من الجملة مما انتبه اليه ـ أمثـــال (عبد القاهر) على أن استقراء الشعر العربى استقراءا سليما يكذب هذه القاعدة ٠

واستقامة اللفظ تكون من ناحية الجرس حيث يكون اللفظ مستقيما بسلامته من تنافر الحروف ، وذلك مقياس نسبى ، يجب أن يراعى فى اللهجات والاذواق المختلفة ، على أن الخطأ هنا أن اللفظة الثقيلة قد تصلح فى موضعها اذا أوحت بمعناها المراد فى ذلك الموضع ٠

ومن ناحية الدلالة يكون اللفظ مســـتقيما اذا لم يجاف الشاعر فى استعمال أصله ووضعه اللغوى ، ولهذا السبب عابوا أقوال البحترى :

تشـــق عليه الريح كل عشـــية

جيـــوب الغمـــام بين بكـــر وأيم

فالأيم التى لا زوج لها سواء سبق لها الزواج أم لا (١) ، فالمقابلة بينها وبين البكر غير مستقيمة ، وهذه قاعدة مستقيمة لا غبار عليها ٠

وكذلك يكون اللفظ مســـتقيما اذا تجانس بين قرائنه من الألفاظ ، ولذا أخذوا على مسلم بن الوليد قوله :

فاذهب كما ذهبت غـــوادى مزنة

يثنى عليهـــا الســـهل والأوعار

فكان الأولى أن يقول السهل والوعر ، أو السهول والأوعار ، ليكون البناء اللفظى واحدا بالتثنية أو الجمع ، على أن مجال التأويل هنا واسع فالســـهل فى مستوى واحـــد ، على حين الأوعار مختلفة ، ثم أن اطلاق القول بذلك يكذبه الاستقراء الصحيح للشعر العربى القديم ، والنثر كذلك٠

اســـتأثر الله بالوفاء وبالعـــدل

وولـــى المـــلامة الرجـــلا

لأن الملامة تتجه للانســـان امرأة كان أم رجلا ، ولا تخص الرجل وحده ، ويتبع الاعتبار الأخير أن تقع الكلمة موقعهـــا فى القافية ، كأنها الشىء الموعود المنتظر ، وبهذا يمدح بيتا الحطيئة :

هـــم الـــــذين اذا ألـــمت

من الأيـــام مظـــلمة أضـــاءوا

فالاضـــاءة تتطلب ظلام الأيام ، وما اســـتجد فيها من أحـــداث مذلهمة (١) ، وكذلك يحمدون فى المعنى أن يكون شريفا ٠

خصـــائص المعنى

وهى أن يقصد الشاعر فيه الى الاغراب ، واختيار الصفات المثلى اذا وصف أو مدح ، لا يبالى فى ذلك بالواقع ، فاذا وصف فرسا يجب أن يكون الفرس كريما واذا تغزل ذكر من أحوال محبوبيه ما يمتدحه ذو الوجه الذى يرح به الحب • واذا مدح فعليه أن يذكر ما يدل على شرف المقـام ابداعا واغرابا ، لامراعاة لصدق الموقف والصفات ممدوحه كما يراه (١)٠

وعلى ذلك فنجد العلماء والنقاد يعنون بصـــحة المعنى ، وألا يقع فيه خطأ تاريخى كقول زهير :

فتنتج لكم غلمـــان أشـــأم كلهم

كأحمـــر عـــاد ثم تنتج فتتئـــم

أو خطأ على حساب العرف السـائد ، ولذلك يعيب الآمدى على البحترى قوله :

نصرت لها الشـوق اللجوج بأدمع

تلاحقن فى أعقاب وصفبة تصرما (٢)

وذلك لأن الآمدى يرى أن الشوق يشقيه البكاء ، ولا يزيد منه ، أو مخالفة العرب المعنوى •

كقول أبى تمام :

أذا ما رحى دارت أدرت سـماحة

رحى كل انجـــاز على كل موعـد

اذ جعل انجاز الوعد بمثابة صـــحته بالرحى ، وهو قضاء عليه ، وذلك فى العرف اللغوى لا يرون الا خلاف (٢) •

والاصابة فى الوصف بذكر المعانى العامة ، التى هى ألصق بمثال الموصـــوف من حيث هو مثال ، فيتجنب المجهول والخاص من المعانى والصفات ، فزهير مثلا كان مصيبا ، لا لأنه مدح هرم بن سنان بصفاته الخاصة ، بل لأنه مدحه بالصفات العامة للرجل الكريم من حيث انه مثال

كريم . ولذلك يروون عن عمر رضى الله عنه أنه قال عنه ، « كان لا يمدح الرجل الا ما كان فى الرجال » (١) ٠

والأمور الخاصـــة بتصوير المعــانى الجزئية ، منها المقارنة فى التشبيه وأصدقه « ما لا ينتقض عند العكس » ٠

كتشبيه الورد بالخد ، والخد بالورد ، وأحسنه ما وقع بين شيئين اشتراكهما فى الصفات أكثر من انفرادهما ، كى يبين وجه التشـــبيه بلا كلفة ، لأنه حينئذ يدل على نفسه ويحميه من الغموض والالتباس (٢) ٠

ثم مناسبة المستعار منه للمستعار له على حسب عرف اللغـة فى مجازها ولذلك عيب على أبى نواس قوله :

بح صـــــوت المـــــال ممـــــا

منـــــه يشـــــكو ويبـــــوح

يريد أن المال يتظلم من اهانته وتمزيقه بالاعطاء لكرم صـــاحبه ، والاستعارة قبيحة لأنه لا صلة بين المال والانسان (٣) ٠

خصائص النظم والتراكيب

ويقصدون بذلك الى الانتقال من كل جزء من أجزاء القصيدة التقليدية الى الجزء الآخر على نحو جيد على حسب ما جرت به تقاليد القصيدة العربية منذ الجاهلية ، على الرغم من أن هذه الأجزاء بما تشتمل عليه من وقوف على الأطلال ، وذكر الديار والحبيب ، والرحلة الى الممدوح ، ثم المدح ، لا صلة فى الواقع بينهما ، ولا يمكن أن تتكون منها وحدة عضوية ، انما يريدون وصل هذه الأجزاء وكفى ، على أن اجادة هذا الوصل ، وهو ما يسمونه حسن التخلص من غرض الى غرض فى القصيدة هى ما عنى به المتأخرون دون الجاهلية والمخضرمين ــ اذا كانت العرب تقول عند فراغها من وصف الابل وذكر القفار يقولون : دع ذا ، أو عد من ذا (١) · ليأخذوا فيما يقصدون اليه من غرض القصيدة الأصلى ، ولهذا لم يؤثر حديث نقاد العرب عن التحام الأجزاء فى بنية القصيدة ، بل اتخذوا القصيدة الجاهلية نموذجا على ما بين أجزائها من تفاوت ، يتناقض مع ما نعرفه اليوم من معنى الوحدة ·

وحول عمود الشعر وما تفرغ عنه من أمور النقد ثارت عند نقاد العرب كل مسائل الخصومة بين القدماء والمحدثين ، اذ أن هؤلاء المحدثين قد انحرفوا قليلا فى صناعتهم عما يقتضيه عمود الشعر من أصول ·

وقد اعترف نقاد العرب فى أمر هذه الخصومة ، فمنهم من تعصب للقديم لقدمه ، وبخاصة الرواة واللغويون كأبى عمرو بن العلاء والاصمعى ، وكان أبو عمرو لا يحتج ببيت من الشعر الاسلامى وكان يقول : « لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت أن آمر فتياننا بروايته (١) ·

ولا وزن لمثل هذه الآراء والقول الفصل فى هذا ما قاله ابن قتيبة :

« ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين العدل للفريقين ، وأعطيت كلا حقه ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوما دون قوم (١) » ·

ولقد فطن نقاد العرب فى موازنتهم بين الشعراء ، وفى الخصومة بين المحدثين والقدماء الى أثر البيئة الطبيعية والثقافية ، وأرجعوا اليها

الاختلاف بين جزالة أدب البدو والأعراب ، ورقة أهل الحضر ، وسهولة ألفاظها ومعانيها ، وبخاصة بعد الاسلام حين « اتسعت ممالك العرب ، وكثرت الحواضر ، ونزحت البوادى الى القرى ، ونشأ التأدب والتظرف فاختار الناس من الكلام ألينه وأسهله (٢) .

ونلاحظ أن أول من نبه الى أثر البيئة فى الشعر هو ابن سلام الجمحى فى طبقاته ، فقد علل لين الشعر عند عدى بن زيد ، بأنه كان يسكن الحيرة ومراكز الريف وفى قلة الشعر فى الطائف ومكة لقلة الحروب ، لأن الشعر انما يكثر بالحروب كحرب الأوس والخزرج ، ولذا قل الشعر بين قريش اذ لم يكن بينهم ثارة ولم يحاربوا (٣) .

ومبدأ تأثير البيئة فى ذاته صحيح ، ولكن ابن سلام لم يستطع أن يفيد منه كمبدأ من مبادىء النقد الأدبى ، وان يكن قد حاول به أن يعلل تعليلا موضوعيا للظواهر الأدبية .

وبعد هذه الاتجاهات النظرية العامة علينا أن نفضل القول فى مختلف الاتجاهات فى النقد العربى مع تقويمها تقويما حديثا .

ويمكن تقسيمها الى اتجاهين كبيرين :

ما يخص وحدة العمل الأدبى من حيث أجناس الأدب من شعر ونثر ، ثم من حيث ترتيب أجزاء القول والأهداف الانسانية للأدب .

والاتجاه الكبير الآن الذى يتحدث النقاد فيه عن القيم الجمالية للوحدة البلاغية وازمة التجديد فيها ، ثم فيما سموه اللفظ والمعنى ، أو الشكل والمضمون .

الفصل الثالث

عمود الشـــعر بين النقاد

١ ـ رأى النقاد القدامى فى عمود الشعر

٢ ـ عمود الشعر عند الآمدى

رأى النقاد القدامى فى عمود الشعر

١ - ابن قتيبة (١) (٢٢٦ هـ) :

يرى أن نهج الشعر الجاهلى فى القصيدة ومسلكه القديم من الوقوف على الديار واستبكاء الأصحاب ونعت الآثار ، والتخلص من ذلك فى حذق ولطف الى الغرض الذى أنشأ الشاعر من أجلة قصيدته ، بعد أن امتلك الاصغاء • ومهد النفوس لما يعد هو مقبل عليهم ، انتقل الى غرضه ومابنى بسببه القول •

يعتبر ابن قتيبة هذا المسلك فى منتهى الاجادة شعرا وشاعرية وهو القائل : (فالشـــاعر المجيد من سلك هذه الأساليب ، وعدل بين هذه الأقسام فلم يجعل واحدا منها أغلب على الشعر ، ولم يطل فيمل السامعين• ولم يقطع وبالنفوس ظمأ الى المزيد ثم يقول ابن قتيبة :

(وليس للمتأخر الشـــعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين فى هذه الأقسام ، فيقف على منزل عامر ، لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر، أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما ، لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير) •

وأضـــاف ابن قتيبة فى نهجه الوحدة الفنية فى القصيدة ، واقتران المعنى بين الأبيات ، وأن تكون الأبيات الشعرية كلا واحدا ، وكأنما صبت فى قالب واحد ، فلا تباين بينها فى الألفـــاظ أو المعانى ، واعتبر من التكلفة والصنعة فى الشعر أن ترى البيت مقرونا بغيره ومضموما الى غير لفقه •

وليدلل على صحة قوله يورد قصة (عمر بن لجأ) الذى قال لأحد الشعراء انا أشعر منك • قال : وبم فضلتنى ؟ فاجابه : لأنى اقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه •

وجعل ابن قتيبة ذلك هو مناط المفاضلة بين الشعراء •

٢ - قدامة بن جعفر (٣٣٨ هـ) : (١)

يوجب تآلف اللفظ والمعنى ، وكذلك الوزن والقافية ، ولكنه مع ذلك يخصص بالدرجة الأولى وحدة البيت ، ويشترط أن يكون لكل بيت معنى تام مستقل ٠

وعنده أن الشاعر اذا أتى بالمعنى الذى يريد فى بيت واحد ، كان ذلك أشعر من الذى أتى بذلك فى بيتين كقول الشاعر :

اذا أنت لم تستبق أخا لا تلمه
على شعث أى الرجال المهذب

مع قول الآخر :

اذا أنت فى كل الأمور معا
تبا صديقك لم تلق الذى لا تعانيه

فعش واحدا أوصل أخا
ك فانه مقارف ذنبا تراه ومجانبه

ومن العيب الواضح عند قدامة الناقد احتياج البيت الى آخر ليتم معناه ، فالمعنى يطول عن أن تحتمل العروض تمامه فى بيت واحد فيقطعه الشاعر بالقافية ويتمه فى البيت الذى يليه ٠

وقد سئل حماد الراوية :

بم تقدم النابغة ؟

فأجابه باكتفائك بالبيت الواحد من شعره ٠ لا : بل بنصف بيت ٠ لا: بل بربع بيت مثل قولى :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة
وليس وراء الله للمرء مذهب

وقوله كل نصف بيت يغنيك عن صاحبه ٠

وقوله : أى الرجال المهذب
ربع بيت يغنيك عن غيره

٣ - (أبو هلال العسكرى (١)) (٣٩٥ هـ)

وأبو هلال يكتفى من المعنى أن يكون صوابا ٠ ويشترط جودة اللفظ وصفائه وحسنه وبهاءه وصحة السبك والتركيب ، والخلو من اعوجاج النظم والتأليف اذ يقول :

(وليس الشأن فى ايراد المعنى ، لأن المعانى يعرفها العربى والعجمى والقروى والبادى ، وانما هو فى جودة اللفظ وصفائه وحسنه وبهائه ، ونزاهته ونقائه ، وكثرة طلاوته ومائه ، من صحة السبك والتركيب ، والخلو من أود النظم والتأليف) ٠

(وليس يطلب من المعنى الا أن يكون صوابا ٠ ولا يقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ما وصفناه من نعوته التى تقدمت) ٠

وذهب أبو هلال الى أن الكلام اذا كان لفظه حلوا عذبا ، وسلسا سهلا ، ومعناه وسطا ، دخل فى جملة الشعر الجيد ، وجرى فى صفته مع النادر ، واستشهد الناقد البلاغى على صحة مذهبه هذا بقول الشاعر :

ولما قضينا من منى كل حاجة

ومسح بالأركان من هو ماسح

وشدت على حدب المهارى رحالنا

ولم ينظر الغادى الذى هو رائح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا

وسالت بأعناق المطى الأباطح

يقول العسكرى : (وليس تحت هذه الألفاظ كبير معنى وهى رايقة معجبة) ٠

٤ - ابن طباطبا (٢) (٣٣٢)

أما ابن طباطبا فذكر فى كتابه عيار الشعر أن الشعر صناعة وأن الصناعة تقتضى الفصل بين اللفظ والمعنى مما قال فى ذلك :

قالت الحكماء : (أن للكلام الواحد جسدا وروحا • فجسده النطق وروحه المعنى • فالواجب على صانع الشعر أن يصنعه صنعة متقنة لطيفة ، بمعنى أن يتقنه لفظا ويبدعه معنى) •

ثم يجرى ابن طباطبا الألفاظ والمعانى فى لفق واحد فيقول :

(وللمعانى ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها ، وتقبح فى غيرها) •

(فهى لها كالمعرض للجارية الحسناء التى تزداد حسنا فى بعض المعارض دون بعض) •

وفضل القول فيما أسماه الأشعار المحكمة وأضدادها :

(والأشعار المحكمة عنده هى المحكمة الوصف ، المستوفاة المعنى ، السلسة الألفاظ ، الحسنة الديباجة ، فهو يهتم باستيفاء المعانى، الى جانب ثلاثة أمور تحكم الشعر فى نظره وهى :

الوصف المحكم ـ اللفظ السلس ـ الديباجة الحسنة •

وثلاثتها تحتوى على عمود الشعر ، ثم مثل ابن طباطبا لهذه الأمور الثلاثة بقول أبو ذؤيب الهذلى فى هذه الأبيات :

أمن المنون وريبها تتوجع
والدهر ليس بمعتب من يجزع

واذا المنية أنشبت أظفارها
ألفيت كل تميمة لا تنفع

والنفس راغبة اذا رغبتها
واذا ترد الى قليل تقنع

المرزوقى (١) (٤٢١ هـ)

على أننا لا ندرى أحدا فصل فى عمود الشعر ، ورتبه وشرح عليه ، وهمشه وأفاض فى ذلك ، وقارب الغاية ، وأضفى على النهاية ، وأجاد مثل المرزوقى الناقد ، يقول المرزوقى :

(الواجب أن يتبين ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب ، ليتميز تليد الصنعة من الطريف ، وقديم نظام القريض من الحديث) •

ويتحدث المرزوقى عن عمود الشعر ، مبينا لبناته الفنية ، التى يبنى منها فيقول : (أنهم كانوا يحاولون شر فالمعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة فى الوصف ، والمقـارية فى التشـبيه ، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى ، وشدة اقتضائها للقافية ، حتى لا منافرة بينهما • فهذه سبعة أبواب هى عمود الشعر ، ولكل باب منها عياره •

(أ) فعيار (١) المعنى أن يكون شريفا صحيحا مصيبا • فاذا عرض على العقل الصـحيح والفهم الثـاقب واقتنع به كان مقبولا ، والا نقص بمقدار ما فيه من باطل وخطأ ، والعقل الصحيح يحكم على المعنى بعد أن يعرضه على واقع الحياة حينا وعلى معارف العلم حينا آخر • ومن ذلك :

ذهب جرير يمدح عبد الملك بن مروان فأنشأ يقول :

أتصـحوا أم فؤادك غير صـاح

عشـية هم صـحبك بالـرواح

فحينما سمع منه الخليفة الشـطر الأول من البيت تطير منه ولامه بقوله :

ألسـتم خير من ركب المطـايا

وأنـدى العـالمين بطـون راح

فجعل الخليفة يهتز طربا ويقول : نحن كذلك • ردها على • فأعادها عليه والخليفة يزداد زهوا ويقول : من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت • ولقد استجاد الخليفة بيت الشاعر وجعله نموذجا للمديح ، ولم يكن طربه للفظ أو للنظم فالقصيدة على نمط واحد منهما • ولكن الذى شدا به وأثر هو معنى البيت ، فقد يكون الركوب للحرب والنزال أو للصـيد والطرد ، أو للسبق والمباراة ، أو للملك والحكم ، أو لغير ذلك مما يجرى على هذا النمط ، ومن أجل هذه المعانى جميعا انتخب البيت ، وطرق كوامن الفخار والعزة فى نفس الخليفة (١) •

(ب) وعيار اللفظ الذوق المرهف الذى هذبته الرواية ، وصـقلته الثقافة وكان جزلا مشاكلا للمعنى المراد منه •

عندما أنشد المتنبى سيف الدولة قصيدته ، التى يهنئه فيها بالانتصار على الروم فى موقعة الحديث (٢) وانتهى الى قوله فيها :

وقفت وما فى المــوت شك لواقف
كأنـــك فى جفن الردى وهــو نائم

تمر بك الأبطـــال كلمى هزيمـــة
ووجهـــك وضـــاح وثغرك باسم

قالوا : عاب سيف الدولة البيتين بأن شـــطريهما لا يلتئمان وكان حقهما عنده :

وقفت وما فى المـوت شك لواقف
ووجهـــك وضـــاح وثغرك باسم

تمر بك الأبطـــال كلمى هزيمـــة
كأنـــك فى جفن الردى وهــو نائم

وحجــة سيف الدولة أن طريقته هذه والموت لاشك فيه مع الاشراق والابتسام أدل على تناهى الشجاعة وبلوغ الجرأة الغاية ، فالألفاظ لم تقع مواقعها فى نظر سيف الدولة ودافع المتنبى عن وجهة نظره :

بأنه لمــا ذكر الموت فى أول البيتين أتبعه بذكر الردى ليجانسه ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا ، وعينه من أن تكون باكية ، أتبعه بذكر وجه الممدوح الوضـــاح الباسم ، وذلك ليوجد أساسا للمقابلة بين الشطرين .

(ج) وعيار الاصـابة فى الوصف ما أوتيه الأديب من ذكاء وحسن تمييز ، وبها يدرك ما هو أشد لصوقا بالشىء فيكون من صفاته الأساسية ولذلك عدوا من نوادر الشعر هذا البيت :

أرادوا ليخفوا قبـــره عن عـــدوه
فطيب تراب القبـــر دل على القبـــر

وكذلك البيت الذى وصـــفه المفضل : بأن أوله أكثم بن صيفى فى اصابة الرأى وآخره بقراط الطبيب فى معرفته بالداء والدواء :

دع عنك لومى فان اللوم اغــراء

وداونى بــــالتى كانت هى الــداء

(د) وعيار المقاربة فى التشــبيه هو التفطن لما بين الأشياء من صلات ، وحسن تقدير هذه الصـــلات ، حتى يوقع التشـبيه بين أبرزها واشدها وضوحا ، ومنه : سمع جرير عدى بن الرقاع وهو ينشد عبد الملك بن مروان قصيدته :

عرف الديار توهمـــا فاعتـــداها

من بعــد ما شـــمل البلى بلادها

فلما قال :

تــزجى أغن كــأن ابـرة روقة

قال جرير : اننى رحمته من هذا

التشبيه وقلت بأى شىء يشبه يا ترى ؟ فلما قال : قلم أصــاب من الدواة مدادها • فقد رحمته من نفسى •

(هـ) وعيار التحام أجزاء النظم والتئامه على تخير من لذيذ الوزن هو الطبع واللســـان ، فما لم يستثقله الذوق من الأبنيـــة ، ولم ينحبس اللسان فى النطق به يوشك أن تكون القصيدة منه كالبيت ، والبيت كالكلمة. لأن أجزاءه سليمة متقاربة ، ولقد كان النقاد دائما يســألون أنفسهم هذا السؤال : أى بيت تقوله العرب أشعر (١) •

وكانوا يجيبون على هذا الســؤال فى كل عصر وزمان ، ومن ذلك ما رواه ابن عبد ربه : (قال عمرو بن العلاء : هو البيت الذى اذا سمعه سامع سولت له نفسه أن يقول مثله • ولأن يخدش أنفه بظفر كلب أهون عليه من أن يقول مثله •

وقال الأصمعى : هو البيت الذى يسابق لفظه معناه •

وقال زهير :

وان أحســـن بيت أنت قـــائله

بيت يقــال اذا أنشـــدته صـــدقا

(و) وعيار الاستعارة كعيار التشبيه السابق وحسن الشبه • وبما أنها مبنية على التشـــبيه ينبغى أن يكون التشـبيه فى الأصل قريبا حتى يتناسب المشبه والمشبه به ومن ذلك قول الطائى :

وكيف احتمالى للســـحاب صنيعة

باســـقائها قبرا وفى جوفه البحر

(ز) وعيار مشاكله اللفظ للمعنى وسدة اقتضائهما للقافية هو الدربة الطويلة والمدارســـة الدائمة ، فاذا حكم بأن اللفظ يؤدى المعنى تمام الأداء ، ليس فيه جفوة ولا زيادة ولا قصور ، وكان اللفظ مقصورا على مقادير المعانى ، فهو البرىء من العيب ، وأما القـــافية فيجب أن تكون كالموعود به المنتظر ، يتم بها المعنى ، ويستوفى بها كماله ، والا كانت قلقة فى مقرها •

عمود الشعر عند الآمدي

وفى كتاب (١) الموازنة بين أبى تمام والبحترى نجد أبا القاسم الحسن بن بشر الآمدي ينحاز الى جانب اللفظ كثيرا ، وذلك عندما يقف بين اللفظ والمعنى أو يطبق نظرية فى عمود الشعر على الشاعرين السالفين ·

وتراه ينوه بشعر البحترى ويشيد به فيقول :

ودقيق المعاني موجود فى كل أمة ، وكل لغة ، وليس الشعر عند أهل العلم به الا حسن التأتى ، وقرب المأخذ ، واختيار الكلام ، ووضع الألفاظ فى مواضعها ، وأن يورد المعنى بالألفاظ المعتاد فيه ، المستعمل فى مثله ، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة ، وغير منافرة لمعناه ، فان الكلام لا يكتسى البهاء والرونق الا اذا كان بهذا الوصف وتلك طريقة البحترى ·

قالوا : وهذا أصل يحتاج اليه الشاعر والخطيب صاحب النثر · لأن الشعر أجوده أبلغه ، والبلاغة انما هى اصابة المعنى · وادراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة ، مستعملة سليمة من التكلف ، لا تبلغ الهزر الزائد على قدر الحاجة ، ولا تنقص نقصانا يقف دون الغاية ، وذلك كما قال البحترى :

والشعر لمح تكفى اشارته
وليس بالهذر طولت خطبه

وقال أيضا :

ومعان لو فصلتها القوافى
هجنت شعر جروح ولبيد

حزن مستعمل الكلام اختيارا
وتجنبن ظلمة التعقيد

وركبن اللفظ الغريب فادركه
به غاية المرام البعيد

فان اتفق ـ مع هذا ـ معنى لطيف ، أو حكمة غريبة ، أو أدب حسن، فذاك زائد فى بهاء الكلام ، وان لم يتفق ، فقد قام الكلام بنفسه ، واستغنى عما سواه) ٠

ثم يطبق الآمدى الناقد نظرية عمود الشعر على الشاعر الآخر أبى تمام ، فيزرى بطيقته لاعتنائه بالمعنى والمحسنات اللفظية كثيرا ، ويضع منه فيقول :

(قالوا : واذا كانت طريقة الشاعر غير هذه الطريقة ، وكانت عبارته مقصرة عنها ، ولسانه غير مدرك لما يعتمد دقيق المعانى من فلسفة اليونان ، أو حكمة الهند ، أو أدب الفرس ، ويكون أكثر ما يورد منها بألفاظ متعسفة ، ونسج مضطرب ، وان اتفق فى تضاعيف ذلك شىء من صحيح الوصف وسليمه قلنا :

قد جئت بحكمة وفلسفة ومعان لطيفة حسنة ، فان شئت دعوناك حكيما ، أو سميناك فيلسوفا ، ولكن لا نسميك شاعرا ، ولا ندعوك بليغا ، لأن طريقتك ليست على طريقة العرب ، ولا على مذهبهم ، فان سميناك بذلك (حكيما أو فيلسوفا) لم نلحقك بدرجة البلغاء ، ولا المحسنين الفصحاء، وينبغى أن تعلم أن سوء التأليف ، ورداءة اللفظ ، يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ، ويفسده ويعميه ، حتى يحتاج مستمعه الى طول التأمل ، وهذا مذهب أبى تمام فى عظم شعره ٠

وحسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسنا ورونقا ، حتى كأنه قد أحدث فيه غرابة لم تكن ، وزيادة لم تعهد ، وذلك مذهب البحترى ، ولذلك قال الناس : لشعره ديباجة ولم يقولوا ذلك فى شعر أبى تمام ٠

ونحن نسلم للآمدى بأنه من أتى من الشعراء بالمعنى الدقيق فى لفظ ردىء ، مع سوء فى التأليف فقد ذهب بطلاوة المعنى ، وأفسدها وعماها ، وأحوج المتذوق الى طول التأمل ، وتحير الفهم ، وهذا يبعد عن الفطرة والبلاغة العربية ٠

ولكننا لن نسلم له أن يوازن بين الشاعرين فى عمودية الشعر ، ومدى التزام شاعرية كلا منهما به ، معرفا مذهب كلاهما فى الشعر ، وهو ينظر اليهما بنظرة الأعور للأشياء المحسوسة ٠

فهو يركز على اختيار الشاعر لألفاظه ورصفه لحروفه وانتقائه فى بنائه ، وهذا الاختيار والرصف والانتقاء ووضع الألفاظ مواضعها على اللسان المطبوع فى قول الشـعر ، والذوق المرهف المصقول والملكة الشـاعرية ، ثم بعد الألفاظ عن التكلف والتصنع والتعقيـد ، ثم وفائها بالمعانى ، فذلك الشاعر عند الآمدى ٠ والآخذ بعمود الشعر ، وذلك أيضا مذهب البحترى ٠

أما المعانى وهى التى أغرم بها أبو تمام فى مذهبه ، والدقيق منها بخاصة كما يقول الآمدى فموجودة فى كل أمة وكل لغة ٠

ولأجل اختيار الألفاظ ووفائها بمعانيها بعيدة عن التكلف والتعقيد فى سلاسة وسـهولة ، انفردت اللغة العربية من بين سائر اللغات بالبيان المعجز ٠

وصـاحب المعانى الدقيقة البعيدة الغور ، والتى تحتاج الى طول تأمل وأعمال فكر وكد ذهن ، هو فى نظر الآمدى حكيم أو فيلسوف ٠ ولا يليق أن ندعوه شاعرا أو بليغا ٠

والحقيقة أن لكل شاعر منحاه الذى ينهج ، فهذا شـاعر فيلسوف مثل المعرى وذلك شاعر حكيم كالمتنبى ، وشاعر ثالث ولوع بالغوص على المعانى كأبى تمام ، ولكل شاعر أن يبتعد عن عمود الشعر أو يمتلكه ، ولكل نغمه وشدوه ، ورخيم صداه وعذوبة لحنه ، ولكن ليست الحقيقة أن يوصف الشاعر بالعندليب الصداح وآخر يذكر بالبوم النعاب ٠

الفصل الرابع

عمود الشعر بين الالتزام وعدمه

١ ـ بين القدماء والمعاصرين

٢ ـ بين الالتزام وعدمه

٣ ـ التزام أبي تمام والبحترى

بين القدماء والمعاصرين

ويتقدم الزمن مع كل جديد · ويجيىء الشعراء المحدثون من ذوى الثقافات الجديدة كأبى تمام وابن الرومى وغيرهما ، ويخرج شعرهم على عمود الشعر خروجا واضحا ، ويختلف فيهم النقاد اختلافا ظاهرا · كما ترى فى أحكام كثيرة على أبى تمام بالخروج على عمود الشعر ، وكذلك ابن الرومى الذى قال فيه ابن رشيق :

« أولى الناس باسم شاعر · لكثرة اختراعه وحسن افتنانه » ·

ومع ذلك : أهمله أبو الفرج ، وذمه القاضى الجرجانى فى كتابه الوساطة ، بينما أعجب به النقاد المعاصرين أمثال طه حسين والعقاد والمازنى وغيرهم ، وسلفا تعصب لعمود الشعر فى القرن الثانى الهجرى فريق من النقاد وأهملوا شعر المحدثين من الشعراء لخروجهم على عمود الشعر (١) ·

وينقسم النقاد القدامى الى قسمين ولكل رأيه ووجهة نظره :

١ ــ فأبو عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ) رأس مدرسة المحافظة كان شديد التعصب على المحدثين لخروجهم على عمود الشعر ، وهو صاحب الكلمة المأثورة عن تعصبه ، وذلك عندما سئل عن شعر المولدين فقال :

(ما كان من حسن فقد سبقوا اليه · وما كان من قبيح فهو من عندهم) ·

ويتحدث عنه الأصمعى فيقول :

(جلست اليه عشر سنين فما سمعته يحتج ببيت اسلامى فضلا عن أن يحتج · بشعر المحدثين ، وهو القائل : (لو أدرك الأخطل يوما من الجاهلية ما قدمت عليه أحدا) ·

فأبو عمرو كان شديد التعصب للشعر الجاهلى ، ولا يعد الشعر الا ما كان للمتقدمين ويتابع أبا عمرو بن العلاء فى الازراء لشعر المحدثين ، والاشارة بشعر القدماء ابن الأعرابى ، الذى كان يقول فى شعر أبى تمام : (ان كان هذا شعرا فكلام العرب باطل) ·

وكذلك : أبو عبيدة الذى يرى أن أشعر الناس امرؤ القيس والنابغة وزهير ، وأشعر الاسلاميين جرير والفرزدق والأخطل ، كما كان الخليفة المأمون يتعصب للأوائل من الشعراء ويقول :

وأيضا اسحاق بن ابراهيم الموصلى ، الذى كان شديد العصبية لشعر الأوائل وينصرهم دائما على المحدثين ، فطعن على أبى نواس وعلى أبى العتاهية وعلى أبى تمام وكان لا يعتد ببشار ·

كما كان زعيم مدرسة تعظم الاقدام على الغناء بالقديم ، وتنكر تغييره بالحديث ولنضرب لذلك التعصب مثلا :

أنشد اسحق الموصلى يوما الأصمعى هذين البيتين :

هل الى نظـرة اليـك سـبيل
فيروى الصـدى ويشـفى العليل

ان ما قل منـك يكثـر عنـدى
وكثيـرا ممـا تحب القليـل

فقال : لمن تنشدنى ؟ قال لبعض الأعراب ·

فقال : والله هذا هو الديباج الخسروانى · قال انهما لليلتهما ؟؟

فقال : لا جرم والله ان اثر الصنعة والتكلف بين عليهما ·

والسـؤال : لم كل هذا التعصب من القدماء على المحـدثين من الشعراء ؟ ولعله فى اعتذار الباقلانى عن تعصب هؤلاء حيث قال :

ان هذا لميلهم وحبهم للشعر الذى يجمع الغريب والمعانى ·

وفى اعتذار ابن رشيق الذى قال (٢) :

لحاجتهم الى الشاهد ، وقلة ثقتهم بما يأتى به المولدون ·

ذلك مما يجيب عن سؤال السائل · ويطمئن من النفس بعضـا من تساؤلها وان كان لا يشفى ، وهذا ابن رشيق يعود ثانية ليقول :

(انما مثل القدامى والمحدثين كمثل رجلين ابتدأ هذا بناء فأحكمه

وإتقنه ثم أتى الآخر فنقشه وزينه فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن والقدرة ظاهرة على ذلك وإن خشن) ٠

وهذا مثال إن دل على شيء فإنما يدل على مقدرة الشعراء القدامى على المحدثين ٠

٢ - والقسم الثاني هو مدرسة الانصاف بين القديم والحديث والمحدث وعلى رأسها الناقد خلف الأحمر فارس حلبة النقد ، وكان يفضل بين النماذج المحدثة على الشعر الجاهلي ، وهو الذي فضل لامية مروان على لامية الأعشى ، وكذلك من النقاد الذين يتابعونه ويسيرون خلف لوائه : الجاحظ وابن قتيبة الذي قرر في مقدمة كتابه : مبدأ الانصاف :

(ولم أنظر الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ٠ ولا الى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ٠

بل نظرت بعين العدل على الفريقين ٠ وأعطيت كلا حظه ووفرت عليه حقه ٠ فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف قائلة ٠ ويضعه في متخيره ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده الا أنه قيل في زمانه أو أنه رأى قائلة ٠ ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوما دون قوم) ٠

ولقد كان الجاحظ ينكر غلو المتعصبين على المحدثين ، ومن أمثاله : المبرد وابن المعتز وابن قتيبة وغيرهم ٠

وظهر الشعراء المحدثون والمولدون ابان العصر العباسي يأخذون في التجديد في الشعر ٠ ذلك لنشأتهم في هذا العصر وحضارته ٠ والنهل من ثقافته ومن ذلك الامتزاج القوى ، الذى حدث بين العرب والأمم الاجنبية في كل شيء ، من فكر وحضارة وثقافة وغير ذلك ، تجدهم زادوا في معاني المتقدمين من الشعراء ، واهتدوا الى معان جديدة ، وأتوا بأخيلة وتشبيهات مبتكرة ، وكتبوا في أغراض غير الأغراض القديمة فوق ما صنعوه من تسهيل الأساليب والوزن الشعري ٠ فصبغة الثقافات الجديدة من يونانية وفارسية لعقلية المولدين كانت لها آثارها عليهم

فى التفكير والمعانى والتقسيم وطرافة الخيال ، وخرجوا فى أحيان كثيرة عن عاطفة الشاعر الى عقل المفكر وحكمة الحكيم • فاشتهر صالح بن عبد القدوس وأبو العتاهية ومحمود الوراق فى فن الحكمة والمثل •

وكان العتابى يذهب شعره فى البديع الذى تكلفه مسلم من المولدين وتبعه أبو تمام ، وكانت موجة البديع وتكلفه خروجا على عمود الشعر فى رأى الأكثرية الغالبة من النقاد •

وجاء العصر الحديث وقد نظر الشـــعراء المعاصرون الى عمودية الشعر نظرة خاصـــة ، وانصرفوا عن الأوزان القديمة والمولدة جملة ، وأقبلوا على الشعر الحر والمرسل والمنثور وغيرها من ضروب التجديد، فى القصيدة الشـــعرية ، فيمعنون كل الامعان فى الخروج على عمودية الشعر ، وعلى رأسهم رائد مدرسة أبولو الشـــعرية (دكتور أحمد زكى أبو شادى) (١) •

وكذلك مدرسة الديوان وجميع الثائرين على القصـــيدة العمودية ، ومن وجهـــة نظرهم • أنهم يرون أن الخروج على الوزن التقليدى يجر الشاعر الى استخدام أسلوب وايقاع (وتكنيكات) تضرب جذورها فى أعماق عقله الباطن وتملى عليه الايقاع والأسلوب والاعجام ، فتغلبه على ابداعه وعلى شخصيته ، وتجعله غير قادر على التعبير فى كل الموضـــوعات والحالات الشعرية •

ويحسن بنا أن نسأل :

هل ما يزعمه الدكتور أبو شادى على لسان أصحابه الثائرين على القصيدة العمودية صحيحا أو مجردا من قيود الفن ؟

أو ضريبة الابداع ؟ وثمن الخلود ؟

وقد أعجبنى رد الدكتور خفاجى على هذه التساؤلات فيقول : (١)

(ونحن لا نتابع مذهب الذين يرمون الصياغة الكلاسيكية بأنها تغلب الشاعر على ابداعه وشخصيته ، ففى رأينا أنها لا تقف حائلا بينه وبين الابداع واظهار شخصيته المستقلة ، وحريته الفنية الواسعة • ان الشاعر الموهوب لا تعوقه أبدا قيود الوزن والقافية) •

وقد يتسنى لنا أن نقول :

أن النظم أحسن من النثر الذى هو من جنسه ، ومع هذا فالنظم قيد على الشعر ، ولكنه قيد ضرورى لابد منه •

والذين يتداعون الى الشعر الحر ، ويهتفون بحياة الشعر المرسل والمنشور تحت ستار دعوى الحرية والانطلاق فى تصـــوير مشاعرهم وانفعالاتهم وأخيلتهم وأفكارهم وأحاسيسهم زاعمين أن هذه الحرية ، وذلك هو الانطلاق يتيح لهم الصـــور الجميلة والألفاظ العذبة الرقيقة والجرس السلس المنغم ٠

وان هذه النظم قيد حديدى ٠ والقافية وثاق يحد من انطلاق هؤلاء ، وقد يكون من الضرورى أن نذكرهم بشعراء خلدهم التاريخ أمثال زهير والنابغة وأبى العلاء والمتنبى والبحترى والبارودى وشوقى وغيرهم ، لم يربطهم قيد الأوزان العروضـــية على العى والتبلد ، ولم تكبح القـــافية انطلاقاتهم الوجدانية ، ولم تغل مشاعرهم أو تخبو أفكارهم على صخرة القوانين الايقـــاعية ٠ ولم تقف أبحر الخليل بن أحمـــد حجر عثرة فى طريقهم ٠ وانما كانت فى ركابهم ومقياسا على براعتهم ٠

والحقيقة أن دعوى الشعر الحر هى دعوة للخمود والتبلد والضعف والعجز ، ومناصرة للعى واللحن وهى ايقاظ للعامية والابتذال ٠

* * *

لان الحقل اللغوى للشـــعر الحر جـــدب وقحط ، لا تنوع فيه بين الألفاظ ولا بين الأساليب يكتفى فيه الشـــاعر المتحرر بما انتهى اليه من ألفاظ وتراكيب فى مرحلة زمنية محددة لا يثريها ولا ينميها ، ولا يســمو ذوقه الأدبى فيها ٠

ويكون هذا المستنقع الشعرى الراكد مباءة لألفاظ السوقة ، وكلمات العامة ، وآفات اللغة ، وقوارض الايقاع ، واضطراب الوزن ، ومنحيات الموسيقى ومطباتها ٠

وفصل القول فى عيوب الشعر الحر أنها تدفع بأصحابها الى بداية المنزلق ، الذى يتدحرجون فيه الى قبر اللغات ، فيخبو نورها ، ويذهب ســـحرها ، وينطفىء ضوؤها وتتخاوص حيويتها ، وانى لهم ذلك فلغة القرآن قد هيأ الله تعالى من يدافع عنها قال تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ٠

بين الالتزام وعدمه

لكى يكون الشـــاعر شاعرا يجب أن يكون قبل كل شيء ذا موهبـة فطـرية ، ثم يكون ذا ذكاء يميزه وحسن تقدير وذوق مرهف يدرك ما فى الأوزان من قبح وجمال ، وأن يكون عنده ثقافة أدبية واسـعة تعتمد على الدربة والدراية ، وطول الممارسـة والمران للنصـوص الأدبية ودواوين الشعراء فى كل عصر .

عمود الشعر يتطلب منه معنى صحيحا وشريفا ويلبس لفظا مصيبا ومختارا جزلا منتقى ومشاكلا للمعنى الذى فى النفس ، ومطابقا للاسلوب متفردا متميزا . متلائما مع نسج التركيب ، وموسـيقى الوزن ومطابقة الخيال ، وقرابة التشبيه ، وموافقة الغرض والمقصـد ، فيكون الشاعر مطبوعا فى كل ذلك ، وليس متكلفا ولا متصنعا فى شيء من ذلك

فاذا أقام عمود الشعر كان شاعرا مبرزا ، والا فبقدر ما تتضح به قريحته وينزع به دلوه من الشعر .

أما هؤلاء الذين يغوصـون على المعـانى وبهم نهم الى سبرها لتخرج على أى معرض التقطت به . ولا يعينهم الأسـلوب أو النسـج بقدر عنايتهم للمعنى وتهالكهم عليه ، فذلك النائون عن عمود الشعر ولهذا اتهم النقاد أبا تمام بالخروج عن عمود الشعر لتكلفه بالمحسنات اللفظية ، جل هؤلاء سعنون بأمر الجناس والمطابقة وفنون البديع أكثر من وضوح المعنى وسهولة اللفظ وسلامة الأسلوب ، وهم لا يبالون أن يغمض المعنى ويعمى اذا سلم لهم فن من فنون المحسنات البديعية .

أولئك البعيـدون عن نهج القدماء وعمود الشـعر ، ومن أجل ذلك أولعوا بالمطابقة والجناس ، بينما وصـفوا تلميذه البحترى بأنه ملتزم لعمود الشعر لسهولة شعره ، وانتقـاء لفظه ووضـوح معناه ، واحكام نسجه ، وترسمه خطى سلفه .

التزام أبى تمام والبحترى

قد يكون من الانصاف أن نقدم نصين للشاعرين أبى تمام والبحترى، تحت باب المواجهة بينهما ، وكأنهما فى ميدان الشـعر فرسا رهان .. ننظر أيهما أطول باعا ، وأعلى كعبا ، ونلمس فيها مدى قدرة كل منهما

الشاعرية على جمال الوصف واحكام النضج ، وسلامة الأسلوب ، وانتقاء الألفاظ ، وقد قالا الاثنان فى وصف الربيع ٠

قال أبو تمام :

نزلت مقدمة المصـــيف حميـده
وبين الشـــتاء جـــديدة لا تفكر

مطر يذوب الصـــحو منه وبعـده
صـــحو يكاد من النضــارة يمطر

غيثـــان : فالأنـــواء غيث ظاهر
لكل وجهه والصـحو غيث مضمر

يا صـــاحبى تقصـــيا نظريكما
تريا وجـــوه الروض كيف تصـــور

وقال البحترى :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد أن يتكلمـــا

وقـد نبه النيروز فى غسق الدجى
أوائـــل ورد كن بالأمس نـــوما

يفتقهـــا بـــرد النـــدى فكأنه
يبث حديثـــا كان قبـــل مكتمـا

فمـن شـــجر رد الـــربيع رداءه
عليه كما ذكرت وشـــيا منمنمـا

ورق نعيم الـــروح حتى حســـبته
يجيىء بأنفاس الأحبـــة نعمـــا

ولا يخفى على القارىء النصـــان فيرى ولوع أبى تمـــام وتكلفه بالمحسنات اللفظية وفن البديع ، وولوعه بالطباق والجناس والمقابلة ، وانظر : غيثان فالأنواء غيث ظاهر لك والصحو غيث مضمر ، كما لايخفى جمال التعبير وسهولة الألفاظ وقدرة التصوير عند البحترى ، وانظر قوله أتاك الربيع الطلق البيت وهكذا فاق البحترى سلفه وأستاذه ٠

* * *

الباب الثالث

عمود الشعر والموازنات الأدبية

الفصـــل الأول

رأى الآمدى فى سرقات الشـــاعرين

أوردنا فى الفصل السابق موجزا من سرقات الشاعرين فى نظر الآمدى الناقد • ولنا أن نسأل صاحب الموازنة :

أليست القاعدة فى نقد السرقات الأدبية أن الشاعر اذا سرق معنى من آخر فأداه بأبلغ من المسروق منه انفرد الأخير بالفضل • ولم يكن ذلك عيبا عليه • وكان صاحب الزيادة مثله فى الفضل ان لم يكن أفضل منه •

« واذا سلم لنا الآمدى بذلك وهو الواجب عليه • لأنها قاعدة فى ذلك الفن • فأى شرف احتجز أبو تمام به وأقام الدليل عليه فيما أوردناه ؟ أهو البيت الذى وصفه الآمدى نفسه بأنه أحسن ابتداءات أبو تمام ؟

السيف أصدق أنباء من الكتب •• البيت

أم هو بيت الرثاء : توفيت الآمال بعد محمد •• البيت ؟

أم هو البيت والذى وصفه المدعى بالسرقة لأنه الأحسن وأن الشاعر قد جاء فيه بالزيادة : قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ؟ البيت •

أم هو الآخر الذى أحسن الطائى فى لفظه وأجاد فى معناه : باعتراف الآمدى وفيه يقول الشاعر :

نعـود بسـط الكف حتى لو أنه
دعـاه لقبض لم تجبـه أنـامله

أم هو البيت الذى لا يجحد فضله الا مكابر ؟ وفيه يقول الطائى :

لا تنكرى عطـل الكريم من الغنى
فالسـيل حرب للمكان العـالى ؟

قد يتوجب الانصاف علينا أن نقول أن الآمدى ينظر الى الشاعرين فى مساوئهما ومزاياهما معا بعين تختلف ، وهو بعد ذلك يقول :

(وأذكر طرفا من سرقات أبى تمام - واحالاته - وغلطه - وساقط شعره) فاذا ما التفت الى البحترى هش له وقال :

فأما مساوىء البحترى - من غير السرقات فقد دققت واجتهدت أن اظفر له بشىء يكون بازاء ما أخرجته من مسـاوىء أبى تمام فى سـائر الأنواع التى ذكرتها فلم أجد فى شعره ، لشـدة تحرزه وجودة طبعه • وتهذيب ألفاظه - من ذلك ما أرى الا أبياتا يسيرة) •

فاذا ما استعرضنا ما أوردناه من سرقات البحترى هذا ، وجدنا تعريف السرقة للشاعر ، يكاد ينطبق عليه تماما وانظر معى :

١ - قال أبو تمام :

واذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حسود

قال البحترى :

ولن تستبين الدهر موضع نعمة
اذا أنت لم تدلل عليها بحاسد

٢ - قال أبو تمام :

فكاد بأن يرى للمشرق شرقا
وكاد بأن يرى للمغرب غربا

قال البحترى :

فأكون طورا مشرقا للمشرق الأقـ
ـصى وطورا مغربا للمغرب

٣ - قال أبو تمام :

وكيف احتمالى للسحاب صيغة
باسقائها قبرا وفى جوفى البحر

قال البحترى :

ملآن من كرم فليس يضره
مر السحاب عليه وهو جهام

٤ - قال أبو تمام :

وما خير برق لاح فى غير وقته
وواد نجد ملآن قبل أوانه

قال البحترى :

واعلم بأن الغيب ليس بنافع
للناس ما لم يأت فى ابانه

وهكذا نجد أن البحترى سرق أبا تمام لفظا ومعنى · ثم قصر عنه أسلوبا وتصويرا ، وكان هو المفضول ولكن الآمدى يرى غير ذلك ، ولقد كشف عن هذا التحامل الدكتور خفاجى لائما الآمدى بقوله (١) : (فالآمدى رضى الله عنه لا يترك مؤاخذة أبى تمام على سرقاته فى المعانى العابية · كما فصل مع البحترى ، مع أن أبا تمام فى كثير مما أخذ يستبد بشرف المعنى لجودة نظمه ، وحسن تأتيه ، وارتفاعه بالزيادة على ما أخذه والتأنق فى صوغه) ·

الموازنة بين الشاعرين عند الآمدى

ينتهى الآمدى فى كتابه الموازنة الى فصل أخير هو الموازنة بين الشاعرين فيقول (١) : وقد انتهيت الآن الى الموازنة به وكان الأحسن أن أوزان بين البيتين أو القطعتين اذا اتفقتا فى الوزن والقافية وأعراب القافية ، ولكن هذا لا يكاد يتفق مع اتفاق المعانى التى اليها المقصد . وهى للمرمى والغرض) ٠

ثم يقول : (وأنا أبتدأ باذن الله من ذلك بما افتتحا به القول من ذكر الوقوف على الديار والآثار ووصف الأمن والأطلال الى أن يقول : ونحو هذا مما يتصل به من أوصافها ونعوتها وأقدم من ذلك ابتداءات قصائدهم فى هذه المعانى ان شاء الله) ٠

١ - الابتداءات بذكر الوقوف على الديار :

قال أبو تمام :

ما فى وقوفك ساعة من باس

تقضى حقوق الاربع الأدراس

قال الآمدى (وهذا ابتداء جيد صالح وقوله الأدراس جمع دارس وقليل ما يجمع فاعل على أفعال ٠

قال البحترى :

ما على الركب من وقوف الركاب

فى مغانى الصبا ورسم التصابى

وقال أيضا :

ذاك وادى الأراك فاحبس قليلا

مقصرا عن ملامة أو مطيلا

فقال الآمدى : وهذان ابتداءان فى غاية الجودة ٠

٢ - التسليم على الديار :

قال أبو تمام :

سلم على الربع من سلمى بذى سلم

عليه وسم من الأيام والقدم

قال الآمدى : وهذا ابتداء وليس بالجيد ، لأنه جاء بالتجنيس فى ثلاثة ألفاظ وانما يحسن اذا كان بلفظتين :

وقال البحترى :

هــذى المعــاهد من سعاد فلم
أســـأل وان وجمت ولم تتكلمـ

قال الآمدى : وهذا ابتداء جيد ·

٣ ـ البكاء على الديار :

قال ابو تمام :

قرى دارهم من الدموع السوافك
وان عاد صبحى بعدهم وهو حالك

قال الآمدى : وهذا ابتداء جيد ·

وقال البحترى :

ابـكاء فى الـدار بعــد الـدار
وســـلوا عــن زينب بنــوار

قال الآمــدى : وهــذا من البحترى وصف فى البكاء على الديار حسن · ومعان فيه مختلف عجيبة ، كلها جيد نادر ، وأبو تمام لزم طريقة واحدة لم يتجاوزها والبحترى فى هذا الباب أشعر ·

وانتهى الحكم وهو أن البحترى أشعر من أبى تمام فى باب افتتاح القصائد ولقد قسم الآمدى هذا الباب الى فصول وهى :

١ ـ الوقوف على الديار ·
٢ ـ التسليم على الديار ·
٣ ـ تعفية الديار ·
٤ ـ اقواء الديار ·
٥ ـ تعفية الرياح للديار ·
٦ ـ البكاء على الديار ·
٧ ـ سواءل الديار ·
٨ ـ ما يخلفه الظاعنون فى الديار ·
٩ ـ فيما تهيجه الديار ·
١٠ ـ الدعاء للديار بالسقيا ·

١١ ـ أوصاف الديار ٠

وهكذا يستمر الآمدى فى موازنته بين الشاعرين على هذا النحو ، ولا يتزيد عقب كل بيت منهما الا يقوله : وهذا ابتداء جيد ، أو حسن أو صالح أو غاية فى البراعة أو ردىء وما شابه ذلك ، ونسال الناقد : هل الموازنة بين البيتين من الشعر هى كل ما فيها أن يكتب الناقد هذه الكلمة أو تلك عقب البيت : جيد أو ردىء ؟

ثم ان الكاتب تحت عنوان الموازنة وليس فيه بابا الا هذا فقط وازن فيه الناقد على قدر باعه بين الشاعرين فى افتتاح القصائد ، والباقى فى سرقات أبى تمام وأغلاطه واحالاته ، ومرذول شعره ، وساقط كلامه وهكذا ، ولكن الدكتور خفاجى يعتذر عنه فى ذلك ويقول (١) : (لقد جاء على ذلك تكرار الآراء عند المؤلف ونقده فى غضون الصفحات المتباعدة وهو ما عليه أغلب التآليف العربية ، فلا داعى للوم الآمدى وحده ، والنسخ التى بين أيدينا من كتاب الموازنة ، والتى طبعت فى مصر ناقصة ٠ فليس فيها من الموازنة بين الشاعرين الا الموازنة فى معنى واحد من معنيهما ، وهو بكاء الديار وما يتبعه) ٠

وقولنا : ربما كان العذر للآمدى اذا صح القول بأن النسخة ناقصة، وقد يكون فى الناقص موازنة بين الشاعرين فى اتجاهات أخرى ، الأسلوب ، والابتكار ، والمعانى ، والألفاظ ، والتشبيه واصابة الأمثال ، وغير ذلك من احتذاء القدماء فى نهج عمود الشعر ، وتناول القصيدة العربية ، ولذلك قال الدكتور خفاجى فى كتابه أصول النقد (١) :

(ونقد الآمدى لشعر الطائيين ليس نقدا للروح الشعرية بما فيها من جوانب شتى ومن مظاهر متنوعة ، وآراء ذهب اليها الشاعر ، وشخصية فرضت نفسها على انتاجه ، وحياة تلون هذا لانتاج بلونها) ٠

قال الآمدى بعد أن أتم محاجة خصمى أبى تمام والبحترى فى نحو ست وأربعين صفحة اختتمها على هواه وكما أراد ، ووقف بين الشاعرين موقف القاضى العابس ، والباش ، وموقف المحامى للبحترى والحاجب أيضا يقول :

(وأنا أبتدىء بذكر مساوىء هذين الشاعرين لأختم بذكر محاسنهما . وأذكر طرفا من سرقات أبى تمام واحالاته وغلطه وساقط شعره ، ومساوىء البحترى فى أخــذ ما أخذه من معانى أبى تمــام .. الى أن يقول : وأنا أذكر ما وقع الى فى كتب النــاس من سرقاته ، (يعنى أبا تمــام) وما استنبطته أنا منها واستخرجته ، فان ظهرت بعد ذلك منها على شىء ألحقته بها ان شاء الله) .

وهذا بعض البعض مما عد الآمدى على أبى تمام من السرقات (١) :

١ ـ قال الكميت الأكبر :

ولا تكثروا فيـــه اللجـــاج فانه

محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

أخذه الطائى فقال :

السيف أصــدق أنباء من الكتب

فى حده الحــد بين الجد واللعب

وقال الآمدى فى ذلك : وهو أحسن ابتداءات أبى تمام .

٢ ـ قال أبو تمام :

أما الهجــاء فدق عرضــك دونه

والمــدح فيك كما علمت جليــل

فاذهب فأنت طــليق عرضــك

انه عرض عززت به وأنت ذليــل

أخذه من قول هشام المعروف بالحلو يهجوا بشارا :

بــذلة والــديك كسبت عــزا

وباللؤم اجتــرأت على الجــواب

٣ - وقال مسلم بن الوليد :

يصيب منـــك من الآمال طالبهـــا

حلما وعلما ومعروفا واســـلاما

أخذه أبو تمام فقال وبرز عليه ، وان كان بيت مسلم أجمع للمعنى :

نـــرمى بأشـــباحنا الى ملـــك

نأخـــذ مـــن مـــاله ومـــن أدبه

٤ - وقال مسلم بن الوليد يرثى :

سلكت بك الحرب السبيل الى العلا

حتى اذا ســـبق الردى بك دارو

نفضت بك الآمـــال أحـــلاس المنى

واســـترجعت نزاعها الأمصـــار

أخذه أبو تمام فقال :

تـوفيت الآمـــال بعـــد محمـــد

فأصبح مشغولا من السفر السفر

٥ - وقال مسلم بن الوليد وهو معنى سبق اليه :

لا يســـتطيع يـــزيد من طبيعتـــه

عن المروءة والمعروف احجـــاما

أخذه الطائى (أبو تمام) المعنى فكشف وأحسن اللفظ وأجاد فقال :

تعـــود بســـط الكف حتى لو انه

دعـــاها لقبض لم تجبـــه أناملـه

٦ - قال أبو العتاهية :

كم نعمـــة لا يســـتقل بشـــكرها

لله فـــى طى المكـــاره كامنـــه

أخـــذه الطائى فقـــال وأحسن . لأنه جاء بالزيادة التى هى عكس الشىء الأول :

قـــد ينعم الله بالبلوى وان عظمت

ويبتلى الله بعض القـــوم بـــالنعم

٥ ـ وقال حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه :

والمــال يغشى رجـالا لا طباع لهم
كالسيل يغشى أصول الدندن البالي

أخذه الطائى فقال :

لاتنكرى عطــل الكريم من الغنى
فالسـيل حـرب للمكان العــالى

ثم يورد الآمدى فصلا آخر يعقده لسرقات البحترى من أبى تمام يقرر فى بدايته (١) ·

(ان أقبح مساوىء الرجل أن يقصد ديوان واحد من الشعراء فيأخذ من معانيه كما فعل البحترى مع أبى تمام ، ولو كان فقط عشرة أبيات فكيف والذى أخذه منه يزيد على مائة بيت ؟) ·

وأما غير السرقات من المساوىء عند البحترى ، فقد اجتهد الآمدى أن يظفر له بشىء منها مثل أبى تمام فأعيته الحيلة وغبثا وجد ·

وذلك لشدة تحرز البحترى فى شعره وجودة طبعه ، وتهذيب ألفاظه اللهم الا أبيات لا تذكر ، وهذه السرقات للبحترى من الآمدى :

وبعض مما استقصاه أبو الضياء بشر بن تميم ، ذلك الرجل الذى بالغ فى استقصاء سرقات البحترى ، حتى تجاوز فى نظر الآمدى ما ليس بمسروق فعدده وأحصاه عليه :

واليك بعض من سرقات البحترى لمعانى أبى تمام خاصة :

١ ـ قال أبو تمام :

وكيف احتمالى للســحاب صنيعه
باسـقائها قبرا وفى جوفه البحر

وقال البحترى :

مــلآن مـن كرم فليس يضـره
مر الســحاب عليه وهو جهــام

قال أبو تمام :

واذا أراد الله نشـر فضـيلة
طويت أتاح لها لسـان حسـود

وقال البحترى :

ولن تستبين الدهر موضع نعمــــة
اذا أنت لم تدلل عليهــا بحاســـد

٢ ـ قال أبو تمام :

رأيت رجــائى فيك وحــدك همــــة
ولكنه فى ســـائر النــاس مطمع

وقال البحترى :

ثنى أملى فاحتــازه عن معـــاشر
يبيتون والآمـــال فيهم مطـــامع

٣ ـ قال أبو تمام :

فكاد بأن يــرى للمشرق شــرقا
وكاد بأن يــرى للغــرب غــربا

وقال البحترى :

فأكون طورا مشرق للمشرق الأقصـ
ـصى وطــورا للمغــــرب

٤ ـ قال أبو تمام :

وما خيـــر برق لاح فى غير وقته
وواد نجـــد مــلآن قبـــل أوانه

وقال البحترى :

وأعلم بـــأن الغيب ليس بنـــافع
للنـــاس ما لم يأت فى ابانه (١)

الفصل الثانى

الشاعران فى ميزان النقد الأدبى

١ ـ أصحاب البحترى بين الجرح والتعديل

٢ ـ تحامل الآمدى

٣ ـ الانصاف فى نقد الآمدى

أصحاب البحترى بين الجرح والتعديل

سلفنا أوردنا فى هذا البحث أن الآمدى (رحمه الله) ذكر فى الباب الأول من كتابه الموازنة محاجته مفندة ومدعمة بالأدلة والبراهين ، وذلك بين كل من أصـــحاب أبى تمام المتعصبين له ، وأصـــحاب البحترى المفضلين اياه ·

وللامانة والانصـاف فى ذلك الفن ، يجب علينا أن نلقى نظرة على عدالة الشهود ، ومدى صحة شهادتهم ، وتحرى الصدق والانصاف لديهم، وخاصة الذين ذكرت أسماؤهم من أصـحاب البحترى ، وربما لم يورد لنا الآمدى غير هؤلاء الأربعة وهم :

١ ـ دعبل الخزاعى ·

٢ ـ ابن الأعرابى ·

٣ ـ أبو على السجستانى ·

٤ ـ المبرد ·

وذلك لنطمئن الى حكم محكمة الآمدى · وأن حكم الناقد ، انما ينزع عن ضمير منصف ثم انه رائد فى هذا المجال وهو مجال النقد الأدبى ، والرائد لا يكذب أهله (أى تلامذته) وهذا ابن قتيبة أســـتاذ النقد (من الأوائل) يقول :

(ولم أنظر الى المتقدم منهم ـ شعراء الصف الأول ـ بعين الجلالة لتقدمه ولا الى المتأخر منهم (المولودون والمحـــدثون) بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل على طريقين ، وأعطيت كلا حقه ، ووفرت عليه حقه ، ومع هذا يقول فيه أستاذ النقد الأول : أبو عمرو بن العلاء :

« لو أدرك الأخطل يوما واحدا فى الجاهلية ما قدمت أحدا عليه » ·

ورب قائل يقول : ان قولة ابن العـلاء لهى دليل على التعصب بين النقاد ، وليس دليل انصاف ، لأن القائل معلوم تعصـــبه على الشعراء المحدثين والمولدين وهو رأى مدرســـة المحافظين فى النقـد العربى القديم ·

والجواب لقد كان الرجل أولا : شـــديد التعصب على المحـــدثين لخروجهم على عمود الشعر ، وتلك هى علة التعصب عنده ، وثانيا : فقد اتفقنا نحن واياك على وصف القدامى والمحـدثين كما نعتهم ابن رشيق

الأديب الناقد بقوله : (انما مثل القـدامى والمحدثين كمثل رجلين ابتدأ هذا بناء فأحكمه ، ثم أتى الآخر بنقشه وزينته ، فالكلفة ظاهرة على هذا وان حسن ، والقدرة ظاهرة على ذلك وان خشن) ٠

ولنتفق الآن على أن الناقد الأدبى كقاضى المحكمة المنصف العادل، فاذا ما اشتم من أحدهما ريح التعصب وقع الحكم باطلا ، وبات مطعونا فى سلامته وصلاحيته ، ولنعد الى أصحاب البحترى أو هؤلاء الشهود ، الذى قبل الآمدى الناقد شهادتهم فى أحد الخصمين :

١ ـ دعبل بن على الخزاعى :

كان يقول فى أبى تمـــام (١) : (ان ثلث شـــعره محال ٠ وثلثه مسروق ٠ وثلثه صـــالح) وكان يقول فيه أيضـــا : (ما جعله الله من الشعراء ٠ بل شعره كالخطب والكلام المنثور وهو أشبه منه بالشعر) ولم يدخله فى كتاب المؤلف فى الشعر ونسأل : أهذا شاهد أم خصم ؟

يقول الدكتور خفاجى : (ولعمرى لقد كان دعبل يضع من شأن أبى تمام) ٠ ثم يدلل على صحة ذلك ويقول أيضا تحت باب التنديد على الآمدى الناقد وتعديد هفواته (يقبل الآمدى ما وضـــعه دعبل على أبى تمام مع معرفته بحقيقة موقفه منه ، ومع ظهور تحامله عليه) ويدلل أيضـا على صحة ذلك فى كتابه (أصول النقد ص ١٨٨ ، ١٨٩) ٠

والآمدى نفسه يقول فى دعبل هذا : (قال صـاحب أبى تمام : فقد بطل احتجاجكم بالعلماء ، لأن دعبلا كان يشـــنأ أبا تمام ويحسده وذلك مشهور معلوم منه ، فلا يقبل قول شاعر فى شاعر) ٠

ونسأل الآمدى : (بعد هذا تضع شهادة دعبل ؟ وهو رجل حاسد لأبى تمام متحامل عليه بشهادتك أنت ؟ واذا لم تحكم بشهادته فلم أوردتها؟ وما الفائدة منها ؟

٢ ـ ابن الأعرابى :

وفى هذا الرجل سوف نفسح المجال للآمدى نفسه ليحدثنا عنه ـ الآمدى قاضى الموازنة ـ والحكم فى حلبة السباق بين الشـــاعرين يقول الآمدى (١) : فى صاحب البحترى ٠ وشاهد الوقائع :

(وكان شديد التعصب على أبى تمام ، لغرابة مذهبه ، ولأنه كان يرد عليه من معانيه ما لا يفهمه ولا يعلمه ، فكان اذا سئل عن شيء منها يأنف أن يقول : لا أدرى ، فيعـــدل الى الطعن عليه • والدليل على ذلك (والكلام للآمدى) أنه أنشد يوما أبياتا من شعره ، وهو لا يعلم قائلها ، فاستحسنها وأمر بكتابتها ، فلما عرف أنه قائلها قال : خرقوه ، والأبيات من أرجوزته التى أولها :

وظن أنى جاهل من جهله

عجبا للآمدى • وابن الأعرابى معا ، وهل الانصـــاف فى النقد أن يكون الناقد متحاملا ؟ يحكم على الشاعر لا على النص الأدبى ، وبلادليل ومقدما نؤمن الحكم وتوثقه ، ان الذاتية فى الناقد أضر على الشعر والنقد من الشـــاعر والناقد ، لأنها طريق للهدم والتـدمير والأنانية والعجز ، والشأن فى منهج النقد الموضـــوعى ، أن يكون منهجيا قائما على الذوق الأدبى الاصيل •

وهل يثق الآمدى فى رجل وصـــفه هو بشدة التعصب على الشاعر ومن رجل اتسم بعدم الفهم وعدم الدراية والتحامل على الشاعر ومن رجل يستكبر ويأنف أن يقول قولة الصدق والحق اذا عجز : وهى لا أدرى ، ومن رجل يعدل الحق الى الطعن سترا لقصوره ؟ ومن رجل يغمط الحق ، ويشـــوه العـــدل ، ويعد استحسانه وتحيزه يعلن النكران وينكس على الجحود ، ويمزق الأبيات المختارة ، لا لشيء الا لأنها تنسب الى أبى تمام ؟

ولنسأل الآمدى :

لم وضعت هذا الرجل فى زمرة البحترى ؟ واستشهدت بقوله ورويت خصومته لأبى تمام ؟ وما الفائدة من حشو الكتاب بمثل هذا ان لم يستمع اليه الآمدى ؟

٣ - أبو على محمد بن العلاء السجستانى :

وكان السجستانى هذا صديقا للبحترى • باعتراف الآمدى نفســه وأسمعه يقول (١) :

(والذى نرويه عن أبى على محمـــد بن العلاء السجستانى ، وكان صديق البحترى) واستمع الى ما يرويه الآمدي عن هذا الصديق :

(قال أبو على محمد بن العلاء كان البحترى اذا شرب وأنس أنشد شعره وقال : الا تعجبون ؟ وكان مع هذا أحسن الناس أدب نفس ، لا يذكره شاعر محسن أو غير محسن الا قرظه ومدحه ، وذكر أحسن ما فيه ، قال أبو على : ولم لا يفعل ذلك ؟ وقد أسقط فى أيامه أكثر من خمسمائة شاعر ، وذهب بخيرهم) .

الصداقة التى توجب أحيانا على الانسان أن يجامل صديقه ويناضح عنه بمثل هذا أو أكثر ، تعد هدما له لا بناء ، وقضاء عليه لا احياء له . واجحافا بالنقد لا انصافا له ، لأن التماس الحق والصواب والانصاف ، لا يعترف بالتحيز ، ولا المحاباة ، ولا المجاملة ، ولا الصداقة . ولا غير ذلك مما يشبهه .

ولا أدرى لم جعل الآمدى أصحاب البحترى وشهود قضيته من أخلص أصدقاء الشاعر مثل السجستانى هذا ، وأشدهم بغضا وحسدا لأبى تمام مثل الخزاعى وابن الأعرابى ، وأظن أن ثقة الآمدى فى أصحاب الشاعر البحترى هى التى جرحت نقده عند الخارجين على الآمدى ، حتى رموه بالتحامل على أبى تمام والتعصب للبحترى .

على أن رواية السجستانى ذلك الصديق فيها خمس كلمات — على قصرها — ولا أدرى أكانت مدحا فى الرجل أو قدحا ، واليك الكلمات :

١ — كان البحترى (اذا شرب) بمعنى تعاطى الخمر ، وتماجن . وعليه فهى حطة فى عقيدة الرجل ، وكأن البحترى أبو نواس عصره .

٢ — أنشد شعره وقال : « ألا تعجبون » ؟ وتلك مذمة أخرى فى طوية الرجل ومنقصة فى طبعه ، ودليل مؤكد عما قيل عن حياته وطبعه ولنستمع اليه (١) :

(وكان من أوسخ خلق الله ثوبا وآلة . وأبغضهم انشادا) وأكثرهم افتخارا بشعره ، حتى ليروى عنه أنه كان اذا أنشد شعرا قال لمستمعيه : لم لا تقولون أحسنت . هذا والله ما لا يقدر أحد أن يقول مثله) .

وفى يقينى : أنه ليس هناك أسمج ولا أشد وقاحة من شاعر يمدح نفسه ويزكيها ، بل ويطلب من مستمعيه فى الحاح وعتاب أن يطروه ويجاروا هواه ، ويقولون له : أحسنت .

٣ - (لا يذكر شاعر محسن أو غير محسن) ولم هذا الاستدراك ؟ وماذا يجدى تقريظ ومدح غير المحسن من الشعراء ؟

٤ - (ألا قرظه ومدحه وذكر أحسن ما فيه) ولم أفعل التفضيل هذا ؟ ليذكرنى أفعل التفضيل هذا بشهادة أخرى وضعها السجستانى فى صديقه البحترى رواية على لسان الآمدى ·

(قال الآمدى : سمعت أبا على محمد بن العلاء أيضا يقول (١) :
كان البحترى عند نفسه أشعر من أبى تمام · وسائر الشعراء المحدثين · حيث قيد شهادته بذلك القيد الذى أكل ألفاظ الشهادة كلها فلم يبق على حرف واحد ، وكان لها كالأرضة عند نفسه - ويخيل أن أفعل التفضيل فى الشهادة الأولى وهذا القيد فى الشهادة الثانية ان هما الا مذمة فى الرجل ، ومنهما يشتم رائحة التنقيص والسخرية ·

٥ - وقد أسقط فى أيامه أكثر من خمسمائة شاعر وذهب بخيرهم)

وعلى الرغم من هذا العدد الجرار أسقطهم البحترى · وفوق هذا ذهب بخيرهم ·

والذى نعرفه عن البحترى أنه ولد عام مائتان وست من الهجرة · وتوفى عام مائتان وأربع وثمانون ومدة حياته ثمان وسبعون سنة ، وهذا العمر لا يتسع لخمسين شاعرا على مثاله يسقطهم البحترى ويذهب بخيرهم ·

ولقد اعترف البحترى نفسه بتلمذته على أستاذه أبى تمام واغترافه من فيضه ونهله من نبعه ؟

وقيل للبحترى يوما (٢) : ان الناس يزعمون أنك أشعر من أبى تمام ؟ فقال : والله ما ينفعنى هذا القول ولا يضر أبا تمام ، والله ما أكلت الخبز الا به ولوددت أن الأمر كما قالوا · ولكنى والله تابع له آخذ منه لائذبه ، نسيمى يركد عند هوائه ، وأرضى انخفض عند سمائه) ·

لقد كانت منزلة أبى تمام عند الخلفاء والأمراء والشعراء والنقاد لا تقل عن منزلة البحترى ولا ادل على ذلك من أن النقاد تحاملوا على أبى تمام ، وتعصبوا للبحترى ، وفى التحامل دلالة على شأوه وعلو منزلته ، وفى التعصب للبحترى حماية له من خصمه وأستاذه ·

٤ - أبو العباس محمد بن يزيد المبرد :

كان هذا الامام يفضل البحترى ويستجيد شعره • ويكثر انشاده ولا يمليه لأن البحترى كان باقيا فى زمانه وكان يقول (١) :

(ما رأيت أشعر من هذا الرجل - يعنى البحترى - لولا أنه ينشدنى لملأت كتبى من آمالى شعره) •

وهذه شهادة كان الواجب قبولها خاصة وأنها من رجل عالم • وامام فاضل لم يشهر عنه البغض لأبى تمام مثل ابن الأعرابى والخزاعى ، ولم يعرف عنه أنه كان خليلا للبحترى مثل السجستانى •

لولا أن البحترى وهو المشهود فى حقه طعن المبرد هذا وهو الشاهد طعنة نجلاء ، أطاحت بشهادته من بين أيدينا ، فلم يبق للبحترى شيئا ، اذ وصفه بأنه لا يعرف الشعر ولا ذوق له فيه ، وليس بناقد ولا مميز للألفاظ ، واليك وصف البحترى للمبرد دون أن نحذف منه حرفا •

(فى رواية الامام عبد القاهر الجرجانى (٤٧١هـ) عن بعضهم أنه قال (٢) : رآنى البحترى ومعى دفتر شعر فقال : ما هذا ؟ فقلت شعر الشنفرى قال : والى أين تمضى به ؟ قلت : الى أبى العباس المبرد أقرؤه عليه قال : قد رأيت أبا عباسكم هذا منذ أيام عند ابن ثوابه فما رأيته ناقدا للشعر ولا مميزاً للألفاظ ورأيته يستجيد شيئا وينشده وما هو بأفضل شاعر • فقلت له : أما نقده وتمييزه فهذه صناعة أخرى ، ولكنه أعرف الناس باعرابه وغريبه فما كان ينشد ؟

قال : قول الحارث بن وعلة

قومى هم قتلوا - أميم أخى -
فاذا رميت يصيبنى سهمى

فلئن عفوت لأعفون مجللا
ولئن سطوت لأوهنن عظمى

فقال : أين الشعر الذى فيه عروق الذهب ؟

فقلت مثل ماذا ؟ فقال : مثل أبى ذؤاب •

ان يقتلوك فقـــد ثلت عروشــهم

بعتيبـه بن الحـــارث بن شـــهاب

باشــدهم كلبا على أعــدائهم

وأعزهم فقــدا على الأصـــحاب

ونقول : ان أبا العبـــاس محمد بن المبرد هو من علماء النحو ، انتهت اليه رياسة النحاة فى الكوفة فى القرن الثـــالث الهجرى ، صحيح أنه لم يكن له باع طويل فى فن النقد ، ولا يســعنا الا أن نقبل شـــهادة البحترى فيه ؟ .

تحـــامل الآمـــدى

من خلال سطور الموازنة للآمدى دائما تجد وأنت تقرأ طريقة العنف الشديد على الشاعر أبى تمام والعطف على الشاعر البحترى ، وهذه الطريقة تكشف عن تحامل الآمدى على أبى تمام وتعصبه الشديد عليه ، مما جعل الرجل يتلعثم فى قوله ، ويتناقض فى موازنته ٠

ولسنا نذهب الى هذا المذهب وحدنا ولكن هناك من يؤيدنى قضية ظهور التحامل عند الآمدى ومن ذلك :

١ - ما كتبه الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد المحقق لأصول الموازنة والمعلق عليها حيث يقول (١) :

وأذكر ما تجمع لدى من الملاحظات عليه (كتاب الموازنة للآمدى بعد أن صحبته عمرا ليس بالقصير) وأحدثك - على الأخص - عن تحامله (أى الآمدى) على أبى تمام ، واغضائه البالغ عن البحترى) ٠

٢ - وأيضا ما كتبه الناقد المكتور خفاجى حيث يقول :

(تحامل الآمدى فى كتابه على أبى (تمام) وذلك ظاهر كما أسلفنا من روح الموازنة واتجاهها) ٠

٣ - وثالثه ما كتبه المؤرخ الأديب ياقوت الحموى فى كتابه معجم الأدباء حيث يدلى برأيه فى كتابه الموازنة للآمدى فيقول (٢) :

وكتاب الموازنة للآمدى بين الطائيين فى عشرة أجزاء ، وهو كتاب حسن وان كان قد عيب عليه فى مواضع منه ، ونسب اليه الميل مع البحترى فيما أورده ٠٠ ثم يقول الحموى عن الآمدى : أنه جد واجتهد فى طمس محاسن أبى تمام وتزيين مرذول البحترى ٠

ولنأخذ بعضا من الأمثلة التى تدلل على اضطراب الرجل فى قوله ، ذلك لأنه نصب نفسه مدافعا منافحا عن البحترى ، وواضعا من أبى تمام ، فتجده يقول على لسان أصحاب البحترى (١) :

١ - (أما الصحبة فيما صحبه ولا تلمذ له ٠ ولا روى ذلك أحد عنه ولا نقله ٠ ولا أرى قط أنه محتاج اليه) ٠

فى هذا نفى قاطع لصحبه البحترى لأبى تمام ولتتلمذه عليه ٠ لأن البحترى ليس محتاجا لمثل هذا ، ثم انك تجد الآمدى يقول على الفور ثانية وبدون انقطاع ٠

(ودليل هذا الخبر المستفيض من اجتماعها وتعارفهما عند أبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى ٠ وقد دخل اليه البحترى بقصيدته التى أولها :

أأفاق صب من هوى فأفيقا
وأبو تمام حاضر)

فما معنى هذا التناقض ؟ أيمكن أن يطمئن القارىء الى خبر اجتماعهما وتعارفهما بهذا الدليل الموجود عند أبى سعيد اللغوى ، الذى وصفه الآمدى بأنه خبر مستفيض ؟

أم أن القارىء يجعل هذا دبر أذنه ويسير مع هوى الآمدى فى أن البحترى لم يصحب أبا تمام ولم يتتلمذ له لأنه ليس محتاجا له ٠

ولنضرب مثلا آخر :

(عندما أنشد ابن الأعرابى ذات يوم أبياتا فاستحسنها واختارها وأمر بكتابتها وهو لا يعلم قائلها فلما علم بعد أن استجادها أن هذه الأبيات لأبى تمام أخذه التحامل والتعصب وقال على الفور : خرقوها وهذا ليس بعدل بداهة ، لكن الآمدى سامحه الله يعتقد عن ابن الأعرابى ، ويجد له مندوحة فى تصرفه هذا فيقول :

(ولا يدخل ابن الأعرابى فى التعصب والظلم) ٠ لأن الذى يورده ابن الأعرابى وهو محتذ على غير مثال أحلى فى النفوس وأشهى الى الأسماع وأحق بالزيادة والاستجابة مما يورده المحتذى على الأمثلة ، وعذر ابن الأعرابى فى هذا اذا صح أنه قد سبق الأصمعى :

وذلك أن اسحاق بن ابراهيم الموصلى أنشد الأصمعى :

هل الى نظرة اليك سبيل
فيروى الصدى ويشفى العليل

ان ما قل منك يكثر عندى
وكثير مما تحب القليل

فقال : لمن تنشدنى ؟ قال لبعض الأعراب ٠

فقال الأصمعى : هذا والله هو الديباج الخسروانى ٠

قال : انهما للبليلتهما ؟

فقال : لا جرم والله ان أثر الصنعة والتكلف بين عليهما ويكون الآمدى وابن الأعرابى فى أبى تمام أقرب عذرا من الأصمعى فى اسحاق ٠

فانظر بالله هل تجد عذرا أوهى ولا أقبح من هذا ؟ وماذا رأى الآمدى فيما لو كانت قصـــة ابن الأعرابى مع البحترى ، أكان يعتذر عن النـاقد المتعصب المبين فى تحامله كهذا الاعتذار ؟ ٠ ويقول عنه : ولا يدخل ابن الأعرابى فى التعصب والظلم ؟

وثالثة : يقول الآمدى (١) : (وبعـــد فينبغى أن تتأملوا محاسن البحترى ومختار شعره ، والبارع من معانيه والفاخر من كلامه ، فانكم لا تجدون فيه على غزره وكثرته حرفا واحدا مما أخذه أبو تمام) ٠ ولا أدرى أن ناقدا مثل الآمدى يحمله التعصب فيتخبط فى قوله مثل هذا التخبط ولنسأله : ما معنث كلمة (ما) ؟

أليس سياق النفى معه كان عليه أن يقول ٠

فانكم لا تجـدون فيه على غزره وكثرته حرفا واحدا أخذه من أبى تمام) ولكنه وضع (من) للتبعيض وما الموصولة (مما) ٠ من بعض الذى أخذه من أبى تمام ٠ واذا كان كذلك فما معنى كلمتى ومعنـاهما : (حرفا واحدا) ؟ التى قبلها ؟

الانصاف فى نقد الآمدى

لو كان أبو تمام حيا حينما تنـــاوله الآمدى فى كتابه لاستغاث من تعصبه عليه وتحامله وتمثل بقول الشاعر :

ما أنت بـــالحكم الترضى حكومــة
ولا الأصــيل ولا ذو الرأى والجدل

والبحترى ان هو الا تلميذ لأبى تمـــام أخذ منه ، وناهل من فيضه ومقتفى لأثره ، واذا سألتم البحترى نفسه يقول (١) :

« كنت فى حداثتى أروم الشعر ، وكنت أرجع فيه الى طبعى ، ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ، ووجوه اقتضائه ، حتى قصدت أبا تمام ، وانقطعت فيه اليه ، واتكلت فى تعريفه عليه ، فكان أول ما قال لى :

يا أبا عباده · تخير الأوقات وأنت قليل الهموم ، صــفر من الغموم واعلم أن العادة جرت فى الأوقات أن يقصد الانسان لتأليف شىء أو حفظه فى وقت السحر ، وذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة ، وقسطها من النوم ·

فاذا أردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقا ، والمعنى رقيقا ، واكثر فيه من بيان الصبابة ، وتوجع الكآبة وقلق الأشواق ولوعة الفراق ·

واذا أخذت فى مدح سيد ذى أياد ، فاشــهر مناقبه ، وأظهر مناسبه وابن معالمه ، وشرف مقامه ، ونضد المعانى ، وأحذف المجهول منها ، وايك أن تشين شعرك بالألفاظ الرديئة · ولتكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الاجساد ·

واذا عارضك الضجر فأرح نفسك ، ولا تتعمل شعرك الا وأنت فارغ القلب ، واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة الى حسن نظمه ، فان الشهوة نعم المعين ·

وجملة الحال · أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين ، فما استحسن العلماء فاقصده · وما تركوه فاجتنبه · ترشد ان شاء الله » ·

ولقد وصف الآمدى شعر أبى تمام فقال فيه (١) :

« ولأن أبا تمام شديد التكلف · صاحب صنعة · ومستكرة الألفاظ والمعانى · وشعره لا يشبه أشعار الأوائل ، ولا على طريقتهم · لما فيه من الاستعارات البعيدة والمعانى المولدة » ·

بينما نجد الحسن بن وهب يصف شعر أبى تمام هو الآخر من رسالة كتبها اليه فيقول (٢) :

« أنت — حفظك الله — تحتذى من البيان فى النظام مثل ما يقصد بحر فى الدرر من الأفهام · والفضل لك — أعزك الله — اذ كنت تأتى به فى غاية الاقتدار ، على غاية الاقتصــــار · فى منظوم الأشعار · فتحل معقده ، وتربط متشرده · وتنظم أشطاره ، وتجلو أنواءه · وتفصله فى حدوده ، وتخرجه من قيوده ثم لا تأت به — مهما اقتبسه — مشتركا فيلبس ولا متعقدا فيطول ، ولا متكلفا فيحول فهو كالمعجزة تضرب فيها الأمثال ، ويشرح فيها المقال » ·

فأيها الصادق فى قوله · المتحرى لحقيقة الشاعر ؟ وفى وصفه ؟ ليرد عظم أبى تمام حكمَ الآمــــدى · ويدلى بهذه البراهين على براعته ، فى الشاعرية وأنه أستاذ البحترى ومن فضله عرف الأخير ·

فيحدثنا جحظة فيقول (٣) : (تحـــــادثنا يوما فى أبى تمام الطائى والبحترى أيهما أشعر ؟ قال بعض من حضر مجلسنا ·

هل يحسن الطائى أن يقول قول البحترى :

تسرع حتى قال من شــــهد الوغى
لقـــــاء عـــــدو أم لقـــــاء حبيب

فقلت من الطائى سرقه حيث يقول :

حن الى الموت حتى قال جـــاهله
بـــأنه حن مشـــتاقا الـــى وطـــن

وهذا امتحان لسرعة بديهية أبى تمام ، وحضور خاطره فى الشعر ، وأنه القارض لذلك الفن على الطبع والســــليقة دون قصور منه أو توقف وتجبل وعى · فنجده فى نصـــاعة البيان وسرعة البديهية ، وذلك الالهام المصيب ·· وعلو الكعب فى قرض الشعر فوق الذى كنا نأمل · وذلك عندما أنشد أبو تمام أحمد بن المعتصم مدحته التى مطلعها

مـا فى وقـوفك سـاعة من بأس
تقضى حقـوق الأربـع الأدراسى

وانتهى الى قوله :

أقـدام عمرو فى سـماحة حاتم
فى حـلم أحنف فى ذكاء ايـاس

قال له الفيلسوف (أبو يوسف الكندى) وكان حاضرا : الأمير فوق من وصفت فأطرق أبو تمام قليلا ثم رفع رأسه وقال :

لا تنـكروا ضربى له مـن دونه
مثـلا شرودا فى النـدى والبأس

والله قـد ضرب الأقل لنـوره
مثـلا من المشـكاة والنبـراس

* * *

الفصل الثالث

الشاعران أبو تمام والبحترى

١ ـ أبو تمام : أصله وحياته وثقافته .

٢ ـ البحترى : حياته وشعره .

أبو تمام ٠٠ أصله وحياته وثقافته

لعل أهم شاعر يمثل مذهب التصنيع فى القرن الثالث الهجرى هو أبو تمام فقد انتهى المذهب عنده الى الغاية التى كان يرنو اليها شعراء العصر العباسى من الزخرف والتنميق ٠

وهو حبيب بن أوس الطائى ، وشك بعض القدماء فى طائيته ، وقالوا ان أباه كان خمارا نصرانيا بدمشق يدعى تدوس ، فحرفه أبوتمام الى أوس ، وانتسب الى طى (١) ، وظن مرجليوث أن هذا الاسم اختصار لتيديوس ، وتبعه الدكتور طه حسين فقال انه اسم يونانى، واستظهر أن يكون أبو تمام طائيا لولادته (٢) ، ومن يقرأ شعره وفخره العارم بطى لا يشك فى أنه طائى ، وأنه من صميم طىء ، لادعى فيها ولا من مواليها ٠

وقد ولد أبو تمام بقرية جاسم على الطريق بين دمشق وطبرية ، واختلف فى السنة التى ولد فيها فقيل سنة ١٧٢ وقيل ١٨٢ ، أو ١٨٨ أو ١٩٠ ونشأ فى دمشق ، حيث بدأ حياته بحياكة الثياب ، ويظهر أنه أخذ يختلف فى أثناء ذلك الى حلقات العلم والأدب ، ولم تلبث مواهبه الأدبية أن استيقظت فى نفسه ، فانتقل من حياكة الثياب الى حياكة الشعر ونسجه، وترك دمشق الى حمص ومدن بنى عبد الكريم الطائين وغيرهم من سراتها اليمنية ، وتعرض لخصومهم بهجوهم ، ثم تراه يرحل الى مصر ، وينزل فى الفسطاط ، ويعيش فى السقاية بمسجدها الجامع الكبير ، ويرتوى مما فى هذا المسجد من حلقات العلم والدرس ، ويساجل الشعراء المصريين ويمدح غياش بن لهيعه عامل الخراج ، ويهجوه حين لا يجد عنده ما يؤمله، وفى كتاب الولاه والقضاء للكندى أشعار نظمها بين سنتى ٢١١ ، ٢١٤ ، وهى تشير الى الفترة التى قضاها بمصر ، وهى فترة لم يلق فيها ما كان يرجوه من نجاح مادى غير أنها كانت عظيمة الاثر فى شعره لما تمثله من المعارف والثقافات ، ولما دار بينه وبين الشعراء المصريين من منافسات ورجع الى موطنه دمشق يمدح ويهجو من يمدحهم لأنهم لا يعرفون له قدره٠

وحاول المثول بين يدى المأمون فى احدى زياراته للشام ، ولكن الأبواب أوصدت فى وجهه ، وتحول الى الموصل ، وتنقل بينه وبين وطنه، ويظهر أنه زار أرمينيه ، فمدح واليها خالد بن يزيد الشيبانى ، وأجزل له فى العطاء ٠

ثم توفى المأمون سنة ٢٢٨ للهجرة فيولى وجهه نحو بغداد وتقبل عليه الدنيا اذ يقر به المعتصم ويصبح أكبر شاعر يتغنى بأعماله ، وأحداث خلافته من مثل فتح عمورية ، والقضاء على ثورة بابك الزخرمى ، وقتل الفتن ، ويتهاداه رجال الدولة الممتـــازين من مثل محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم ، والواثق وأحمد بن أبى داود القاضى ، وغيرهم من كبار القواد والعمال أمثال أبى سعيد ومحمد بن يوسف التغرى وأبى دلف العجلى وجعفر الخياط ، ومالك بن سـدام ، والحسن بن رجاء ، والحسن ابن وهب ، ونال حظوة الواثق بعد المعتصم ٠

ثم تراه يرحل الى فارس - ليمـدح عبد الله بن طاهر ، حين استقل بها فى أثناء رجوعه من همذان ، فأكرمه أبو الوفا بن سـلمة ، وحبسه الثلج مدة طويلة ، فانكب على خزانة كتبه ، ولم يلبث أن فكر فى تأليف مجاميع من الشعر ، فألف خمسة كتب أهمها الحماسة ، التى دوت شهرتها ٠

وعاد الى بغداد ، وتتوثق الصلة بينه وبين الحسن بن وهب كاتب ابن الزيات فيوليه على بريد الموصل ، غير أن حياته لم تطل به ، فلقد لبى داعى ربه سريعا ، واختلف القدماء فى سنة وفاته كما اختلفوا فى سـنة ولادته والراجح أنها سنة ٢٣١ ، وكان أبو تمام يأخذ نفسه بثقافة واسعة حتى قالوا انه عالم (١) ، وقالوا أن شـعره يعجب أصـحاب الفلسفة والمعانى ، ويظهر أنه كان يحترف علم الكلام وأصوله وفروعه ، كما كان يحترف كثيرا من الثقافات الفلسفية والتاريخية والاسلامية واللغوية ٠

ونجد فى شعر أبى تمام ألفاظا تدل على ثقافته المتنوعة ، فمن ذلك قوله :

كم فى الندى لك المعروف من بدع

اذا تصفحت اختيرت على السـنن

فقد ذكر البدع والسنن ، وهما من ألفاظ الفقهاء ، ومن ذلك قوله فى الخمر :

خـــرقاء يلعب بالعقول حبـــابها

كتـــلاعب الأفعـــال بالأســـماء

فقد تكلف لذكر الأفعال والأسماء ، وكان من أصحاب النحو ، وكان أبو تمام ينهض بهذه الثقافة العريقة العميقة فى ذكاء نادر ، ويقص القدماء من أخباره فى هذا الجانب قصصا كثيرة ، فمن ذلك أنه امتدح أحمد بن المعتصم بقصيدة سينية فلما انتهى منها الى قوله :

أقـــدام عمرو فى ســـماحة حاتم

فى حـلم أحنف فى ذكاء ايـــاس

فقال له الكندى الفيلسوف وكان حاضرا : الأمير فوق ما وصف ، فأطرق قليلا ثم رفع رأسه وأنشد :

لا تنكروا ضـــربى له مـن دونه

مثـــلا شرودا فى الندى والبـاس

فالله قـــد ضرب لأقـــل لنـــوره

مثـــلا من المشـــكاة والنبراس

فعجبوا من سرعة فطنته (١) ٠

وهذا الذكاء الحاد استخدمه أبو تمام استخداما واسعا فى تمثل الشعر ، الذى سبقه من قديم وحديث ، وقد وعى وعيا دقيقا صوره للشعر العربى ، بجميع خطوطها وألوانها ، وكل ما يجرى فيها من أضواء وظلال٠

وانتحى ناحية مسلم بن الوليد فى تصنيفه ، اذ كان ذوقه ذوق متحضر يغرم بالتصنيع والزينة ، حتى فى ثيابه ومطعمه (٢) ، بل لقد كان ذوقه ذوق نحات أصيل فهو يقيم قصائده كأنه يرفع تمـــاثيل باذخة ، ولذلك لا تعجب حين نجده يتمسك بالأسلوب الجزل الرصين فهو الذى يلائم مايريد من ضخامة البناء ومتانته وقوته ٠

وقد تحول عنده معانى الشعر الى ما يشـــبه جذاذات العلماء فهو يتناولها ممن ســـبقوه ويخرجها اخراجا جديدا يســـتعين فيه بدقة فكره وروعة خياله ، مضيفا اليها كثيرا من دقائق ذهنه وبدائع ملكاته ٠

وتحس كأن الشـــعر أصبح تنميقا وزخرفا خالصـــا ، فكل بيت فى القصيدة انما هو وحدة من وحدات هذا التنميق والزخرف وهو ليس زخرفا لفظيا فحسب ، بل هو زخرف لفظى ومعنوى ، يروعنا فيه ظاهره وباطنه ، وما يودعه من خفيات المعانى ، وبراعات اللفظ ، وبذلك انتهى عنده مذهب التصنيع الى غايته ، وهو يقف فيه علما شـــامخا تتطاول اليه الأعناق ، فكل من قلدوه من بعده كانوا يقفون على السطح ٠

ونجد أن التنسيق والزخرف عند أبى تمام لا يحجبان عنا مشاعره ، وأحاسيسه ، بل هما جزء لا يتجزأ من هذه المشاعر والأحاسيس ، ونحن

لا نقرأ له حتى نحس أثر عنائه ، اذ انه كان يجهد نفســه فى صنع شعره اجهادا شديدا ، وقد روى ابن رشيق فى هذا الصدد عن بعض أصحابه أنه قال « استأذنت على أبى تمام ، فدخلت فى بيت مصهرج قد غسل بالماء ، فوجدته يتقلب يمينا وشمالا ، فقلت لقد بلغ بك الحر مبلغا شديدا ، فقال لا ، ولكن غيره ، ومكث كذلك ساعة ، ثم قام كأنما أطلق من عقال ، فقال الآن أردت ثم استجد وكتب شــيئا لا أعرفه ، ثم قال أتدرى ما كنت فيه منه الآن ؟ فقلت كلا قال : أبو نواس : كالدهر فيه شراب وقيام ، أردت معناه فشمس عليه .

وهذا أبو تمام كان يستخدم فى صناعة هذا النسج المنمق وشىء من التصنيع القديم ، الذى هام به مسلم ونقصد تلك الألوان من المحسنات التى تسمى بالطباق والجناس والمشاكلة والتصــوير ، والتى يقوم فى نفوس كثير من الناس أنها كل ما كان يعتمد عليه الشاعر فى القياس من وشى فى تطريز شعره وتنميقه ، وسنرى أبا تمام يضيف اليها شيئا آخر من الثقافة والفلســفة ، لعلها أروع من هذا الوشى المعروف ، على أنه يحسن بنا أن نتساءل ، هل كان أبو تمام يســتخدم الوشى القديم بنفس الصورة ، التى تركها مسلم وهو قد حرف فيه ، وعدل فى جوانبه ؟

ولعل أول ما يلاحظ على أبى تمــام فى هذا الجانب أنه كان يتفوق على أستاذه فى الاكثار من هذا الوشى وألوانه ولاحظ ذلك القدماء .

يقول الباقلانى : وربما أسرف أبو تمــام فى المطـابق والمجانس ووجوه البديع من الاستعارة حتى استقل نظمه واستقام رصفه (١) ، وانظر الى مطلع القصيدة الأولى فى ديوانه اذ يقول فى مدح خالد بن يزيد بن مزيد الشــيبانى ، وقد عزم المعتصم أن يوليه الحرمين ، ثم رجع عن عزمه :

يا موضــع الشــدنية الوضـــاء
ومصـــارع الادلاء والاســـراء

أقــر الســـلام معرفا ومخضـــبا
من خـــالد المعــروق والهجـــاء

ســـيل طي لو لم يـــزره زائـــر
لتبطـــحت أولاه بالبطحـــاء

وغـــدت بطون منى من ســـيبه
وغـــدت حـــرى منه ظهور مــراء

وتعرفت عـــرفاتهم زافـــرة ولم
يخصص كـــداء منـــه بـــالأكداء

واطـــاب مرتبع يطيبــــه واكتست
بـــردين بـــرد ثـــرى وبـــرد ثراء

لا يحـــرم الحـــرمان خيرا انهم
حـــرموا به نـــوءا من الأنـــواء

فتلاحظ لون الجناس واضحا فى هذه الأبيات التى يمدح بها خالد بن يزيد الشيبانى ، وكان واليا على الثغور ، ثم غضب عليه المعتصم وأراد نفيه فرغب خالد أن يكون خـــروجه الى مكة ، ثم شـــفع فيه ابن أبى داود فاستقر على خالد ، وهنا استجاب أبو تمام للموقف فجاء يقرى السلام على أهل مكة من خالد المعروف بعقله الجميل وشجاعته فى الحروب ·

ويولع بذلك كما بين : برد وبرد ، وبطحـــاء وتبطحت ومنى ومنى · وحر وحراء وتعرفت وعرفات وكداء واكداء والحرمان ويحرم ·

وليس من شك فى أن هذه مهارة من أبى تمام حين استجاب لتلك الأماكن فى جناسه ، وقد أكثر منه كثرة مفرطة ، ولكن ليس هذا كل ما يلفتنا فى جناس أبى تمام بالقياس الى مسلم أستاذه ، انما يلفتنا ما فيه من تصوير يلتف على هذا الجناس ويحتضنه فتعطيه سمات أخرى ، كأنها ليست هى التى تعرفها له ·

البحترى حياته وشـــعره

هو أبو عباده الوليد بن عبيــد الله بن يحيى البحترى الطائى أحد بنى بحتر ابن عتود ولد عام ٢٠٦ هـ ونشاء فى البادية بين قومة بنى طىء وغيرهم (١) ٠

روى عن كثير من العلماء كأبى العباس المبرد ٠ ثم اتصـــل بأبى تمام ولزمه ومازال يترسم خطاه ، ويحذو حذوه ، ويردد صداه ، حتى طار فى الآفاق ذكره ، وكان على فضله ونصاعة بيانه ، ورقة كلامه ، وبديع أسلوبه ، وجزيل شعره ، من أبخل خلق الله ٠

فقد كان له أخ وغلام معه فى داره ، وكاد يقتلهما جوعا ، حتى اذا بلغ منهما الجهد أتياه يبكيان فيرمى لهما بثمن أقواتهما ضـائقا مقترا ، ويقول لهمـا مع ذلك : كلا أجاع الله أكباد كما وأطال اجهاد كما ، وكان فوق ذلك من أوسخ خلق الله ثوبا وآله وأبغضهم انشادا وأكثرهم افتخارا بشعره ، حتى ليروى عنه أنه كان اذا أنشـد شعرا قال لمستمعيه : لم لا تقولون أحسنت ؟ هذا والله لا يقدر أحد أن يقول مثله ٠

قال أبو الفرج عنه : شـــاعر فاضل ، حسن المذهب ، نقى الكلام مطبوع ، وكان مشايخنا (رحمة الله عليهم) يختمون به الشـعراء ، وله تصرف حسن فى ضروب الشـــعر سوى الهجاء ، فان بضاعته فيه نذرة ، وجيـــده منه قليل ، اتصـــل بكثير من رجالات الدولة ، ومدح الكثيرين ، وأكثر مدائحـــه فى أمير المؤمنين المتوكل على الله ، ووزيره الفتح بن خاقان ، ومازال متصلا بهما ، بسبب يختلف اليهما ، ويمدحهما الى أن قتلا على مشـــهد منه ٠ فرجع الى منبج ٠ وبقى يختلف الى الرؤســاء والعلية فى بغداد وسر من رأى يمدحهم ٠

سئل أبو العلاء المعرى : أى الثلاثة أشعر ؟ أبو تمام أم البحترى أم المتنبى ؟ فأجاب : أبو تمام والمتنبى حكيمان والشاعر ٠٠ البحترى ٠

وسئل البحترى : أيكما أشعر ؟ أنت أم أبو تمام ؟ فأجاب : جيد أبى تمام خير من جيدى ورديئى خير من رديئه ٠

وقيل للبحترى يوما : ان الناس يزعمون أنك أشعر من أبى تمام ؟

فقال : والله ما ينفعنى هذا القول ٠ ولا يضر أبا تمام ٠ والله ما أكلت الخبز الا به ولوددت أن الأمر كما قالوا ، ولكنى والله تابع لآخـذ منه لائذ به ، نسيمى يركد عند هوائه وأرضى تنخفض عند سمائه ٠

وأنشد البحترى أبا تمام يوما شيئا من فلما انتهى ، تمثل أبو تمام بقول أوس بن حجر :

اذا مقـــرم منـــاذر أحـــد نابه
تخمط فينـــا نـــاب آخـــر مقـــرم

ثم قال له : نعيت الى والله نفسى فقال : أعيذك بالله من هذا القول : فقال : ان عمرى لن يطول وقد نشـأ فى طىء مثلك أما علمت أن خالد بن صفوان رأى شبيب بن شيبه وهو من رهطه يتكلم فقـــال : يا بنى لقد نعى الى نفسى احسانك فى كلامك لأنا أهل بيت ما نشـــأ فينا خطيب الا مات من قبله فقال : بل يبقيك الله ويجعلنى فداك •

ومات أبو تمام بعد ذلك بسنة وتوفى البحترى عام ٢٨٤ هجرية •

خاتمة

كتاب الموازنة بين الطائيين لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى يعتبر حجر الأساس فى النقد الأدبى ونقد الشعر ، والموازنة بين الشعراء فى ذلك الفن ، وهو بحق من أمهات الكتب فى ذلك الفن القديم ، وهو النقد ، وقد نهل منه الكثير من الأدباء والنقاد والشعراء ، فبنوا على مثاله واحتذوا على نهجه ولقد احتكم فايه مؤلفه الى الذوق وهو عمدة هذا الفن كما أنه احتكم أيضا الى التقاليد العربية ، وهى أسلم المناهج العربية فى النقد ، ذلك يبين لنا مدى ثقافة الآمدى الأدبية فهو أستاذ فى النقد القديم ، له ذوق رفيع فى الأدب العربى رفع ، ولقد جعل الآمدى عمود الشعر العربى حكم الموازنة بين الطائيين ·· ولقد سلف أن قلنا فى عمود الشعر : أنه كل التقاليد الفنية التى كان يتبعها الشاعر الجاهلى ومن نهج نهجه من الشعراء بعد الجاهليين ، من ألفاظ القصيدة العربية وأسلوبها ومعانيها وتشبيهاتها وأخيلتها ووزنها وموسيقاها وأفكارها وصورها ، وغير ذلك مما جرى عليه الشعراء الأوائل ·

ولقد اهتم الآمدى اهتماما بالغا بسرقات الشاعرين خاصة : سرقات أبى تمام فى المعنى ، فهو يقبل ما قبله الذوق العربى ، ويرد ما رفضه الطبع العربى أيضا فى الشعر ·

ولقد فند قول كل من أصحاب الشاعرين واحتكما بينهما فى أيهما أشعر وأيهما ملتزما بعمود الشعر : وهو البحترى ·

وكذلك أيضا عنايته بأخطاء كل منهما فى الوزن والمعنى ، واضطراب الشاعر منهما فى الوزن الشعرى ·

ولذلك قلنا أن الآمدى أستاذ من أساتذة النقد الأدبى ، وان كتابه يعتبر بحق من أمهات كتب النقد عندنا ، ومنهل عب منه الجم الغفير من النقاد ·

أما ما أخذ عليه من هنات ضئيلة فى التأليف والتبويب والتكرار واحتفائه بالألفاظ أكثر من المعنى والأسلوب والنظم ، فذلك مذهب الرجل ولا يقدح فى أفضلية الكتاب من تلمس فيه عيبا وجده ، وسبحان المنزه

عن الزلل والخطأ ، ويكفى الآمدى أنه أخرج للنقاد سجلا حافلا لمناهجهم فى النقد ومذاهبهم فى مفاضلة الشعراء ·

أقول كفاه فضلا أن النقاد كانوا لهذا المؤلف عيال عليه ·

وأما تعصبه على أبى تمام فذلك لأن أبا تمام أولع بفن البديع ، فجاء شعره فى الغالب مستكرها للألفاظ مما أذهب ماء شعره فأبعده عن الروح الشاعرية السهلة ، والعذبة الألفاظ ، السلسة التناول والأخذ ، مما يظهر لنا اتجاه الآمدى الناقد وهو يرى بلاغة الشعر وبيانه فى عذوبة ألفاظه ، واحكام نظمه ، وصحة طبعه ، ولذلك قدم البحترى على منافسه ·

ولقد أبان الآمدى فى كتابه عن صناعة نقد الشعر ، وأن لهذا الفن فرسانه ورجاله ، وانه فن ليس باستطاعة كل انسان أن يقتحمه وانما هو الطبع والملكة الملهمة ثم المدارسة والارتياض وكثرة الدربة ·

واذا كان الآمدى الناقد تحامل على أبى تمام فى كتاب الموازنة بين الطائيين وذلك لغرام الشاعر بالجناس والطباق والاستعارة والمقابلة وغيرها من ألوان البديع الذى قلما يخلو بيت من شعره منها ، فلا ننسى للآمدى أيضا أنه هو الذى نافح عن أبى تمام ، قام يناصره على حق . وبضمير الناقد المنصف ، عندما ألف كتابه الأدبى ، والذى تحت عنوان (الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام) وفى كتاب الموازنة أيضا يعتذر الآمدى عن أبى تمام فى اعتنائه بالمعنى أكثر من اللفظ والنظم ، ويقول عنه فى ذلك أنه محتذ لأسلافه من الشعراء ، وعلى رأسهم امرىء القيس صاحب راية الشعر ، ولقد اعتنى امرؤ القيس بالمعنى أكثر من اللفظ ·

وأما موازنة الآمدى فيخيل الى أنها موازنة لكتاب آخر هو أن الآمدى اطلع عليه وقرأه ، وهو كتاب بشر بن تميم المكنى بأبى الغيثاء ، فلقد تناول أبو الضياء هذين الشاعرين ، ويظهر أنه احتفى بأبى تمام أكثر من البحترى ، فكان كتاب الموازنة ردا عليه ويظهر ذلك فى مواضع شتى من كتاب الموازنة ·

وجملة القول أن الموازنة يكفيها فضلا لسبقها بهذا الفن ، وعلى صاحبها رحمة من الله واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ·

فهرست أهم المصادر والمراجع

اسم الكتاب	اسم المؤلف
١ - الموازنة	أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى
٢ - الشعر والشعراء	أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى
٣ - الوساطة	للقاضى الجرجانى
٤ - الطراز	يحيى ن حمزة العلوى
٥ - الصناعتين	أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى
٦ - طبقات فحول الشعراء	ابن سلام الجمحى
٧ - نقد الشعر	أبو الفرج قدامة بن جعفر
٨ - زهر الآداب	للحصرى
٩ - دلائل الاعجاز	للامام عبد القاهر الجرجانى
١٠ - أسرار البلاغة	للامام عبد القاهر الجرجانى
١١ - صبح الأعشى	القلقشندى
١٢ - ديوان المتنبى	الجزء الأول من الديوان
١٣ - معجم الأدباء	لياقوت الحموى
١٤ - البيان والتبيين	الجاحظ
١٥ - سر الفصاحة	ابن سنان الخفاجى
١٦ - الآمالى	أبو على القالى
١٧ - يتيمة الدهر	الثعالبى
١٨ - عيار الشعر	ابن طباطبا
١٩ - العمدة	ابن رشيق القيروانى
٢٠ - العقد الفريد	ابن عبد ربه الاندلسى
٢١ - الكامل	للمبرد
٢٢ - المثل السائر	لابن الأثير
٢٣ - أخبار ابو تمام	الصولى
٢٤ - أخبار البحترى	الصولى
٢٥ - طبقات الأدباء	ابن الأنبارى
٢٦ - مروج الذهب	المسعودى
٢٧ - ديوان أبى تمام	شرح الخطيب التبريزى
٢٨ - ديوان البحترى	أبو عبادة البحترى
٢٩ - طبقات الشعراء	ابن المعتز

اسم الكتاب	اسم المؤلف
٣٠ - الموشح	المرزبانى
٣١ - معاهد التنصيص	العباسى
٣٢ - خزانة الأدب	للحموى
٣٣ - وفيات الأعيان	ابن خلكان
٣٤ - شذرات الذهب	ابن العماد
٣٥ - النجوم الزاهرة	لابن تغرى
٣٦ - الفن ومذاهبه فى الشعر العربى	د٠ شوقى ضيف
٣٧ - تاريخ الأدب العربى	د٠ شوقى ضيف
٣٨ - أصول النقد العربى	د٠ محمد عبد المنعم خفاجى
٣٩ - فصول فى الأدب والنقد	د٠ محمد عبد المنعم خفاجى
٤٠ - الآداب العربية فى العصر العباسى الأول	د٠ محمد عبد المنعم خفاجى
٤١ - الأدب المقارن	د٠ محمد عبد المنعم خفاجى
٤٢ - أسس النقد الأدبى	د٠ أحمد أحمد بدوى
٤٣ - حياة البحترى وفنه	د٠ أحمد أحمد بدوى
٤٤ - تاريخ آداب العرب	مصطفى صادق الرافعى
٤٥ - تحت راية القرآن	مصطفى صادق الرافعى
٤٦ - من حديث الشعر والنثر	د٠ طه حسين
٤٧ - ثورة الأدب	د٠ محمد حسين هيكل
٤٨ - اتجاهات النقد الأدبى	د٠ محمد السعدى مرهود
٤٩ - آراء واتجاهات فى النقد الأدبى	د٠ محمد نايل أحمد
٥٠ - النقد الأدبى	سيد قطب
٥١ - النقد الأدبى الحديث	د٠ محمد غنيمى هلال
٥٢ - الأدب المقارن	د٠ محمد غنيمى هلال
٥٣ - أصول النقد الأدبى	أحمد الشايب
٥٤ - النقد الأدبى	أحمد أمين
٥٥ - تاريخ النقد الأدبى	طه ابراهيم
٥٦ - النقد المنهجى عند العرب	د٠ محمد مندور

الهوامش حرف ١٥

(١) أبو هلال العسكرى : الصناعتين ص ١٢٨ ٠
(١) أنظر كتاب الوساطة بين المعنى وخصومه ٠
(٢) الموازنة ص ٣٣ ، ٣٤ ٠
(٣) الموازنة ص ٢٠٤ ٠
(١) وصية أبى تمام للبحترى ٠
(٢) المرزوقى فى شرح ديوان الحماسة ٠
(٣) يحيى بن حمزة العلوى ص ٢٤١ ٠
(١) العمدة جـ ١ ص ١٥٩ ـ ابن رشيق ٠
(٢) البيان والتبيين للجاحظ جـ ١ ص ٣٢١ ٠
(١) ابن قتيبة الشعر والشعراء ص ٢ ٠
(٢) البيان والتبيان للجاحظ جـ ١ ص ٣٢١ ٠
(٣) طبقات الشعراء : ابن سلام الجمحى ٠
(١) الشعر والشعراء : لابن قتيبة جـ ١ ص ٧٥ ٠
(١) نقد الشعر : لقدامة بن جعـ ر ص ١٣٠ ٠
(١) الصناعتين لأبى هلال العسكرى ص ٥٧ ، ٦٨ الطبعـة الثانية بمطبعة صبيح ٠
(٢) عيار الشعر لابن طباطبا ٥ ، ٨ ، ٣١ ، ٤١ ٠
(١) شرح ديوان الحماس للمرزوقى ص ٨ ، ٩ ، ١١ ٠
(١) أسس النقد الأدبى عند العرب للدكتور أحمد بدوى ص ٥٣٤ وما بعدها ٠
(١) العقد الفريد لابن عبد ربه جـ ٣ ص ٣١١ ٠
(٢) يتيمة الدهر جـ ١ ص ٢١ ٠
(١) العقد الفريد جـ ص ١٧٣ : ابن عبد ربه ٠
(١) الموازنة للآمدى ص ٣٩١ وما بعدها ٠
(١) فصول فى الأدب والنقد للدكتور خفاجى ص ٨٦ وما بعدها ٠
(١) اعجاز القرآن : الباقلانى ٠
(٢) العمدة : ابن رشيق جـ ١ ص ٩٢ ٠
(١) الشعر والشعراء : لأبن قتيبة جـ ١ ص ٥٩ وما بعدها ٠
(١) فصول فى الأدب والنقد للدكتور خفاجى ص ٨٤ وما بعدها ٠
(١) المرجع السابق ذ سه ص ٨٤ ٠
(١) الموازنة من ص ٤٧ ـ ٨٨ ٠
(١) الموازنة ص ٢٧٧ وما بعدها ٠
(١) الموازنة ص ٢٩١ ـ ٣٠٠ ٠

الهوامش حرف ١٥

(١) معجم الأدباء ياقوت الحموى • ص ٧٥
(٢) ١٨٣ الموازنة : الآمـــدى • تحقيق محمد محيى الدين عبـد الحميد _ الطبعة الأولى ١٣٦٣ هـ _ ١٩٤٤ م
(٢) البيان والتبيين ص ١٧٦ •
(١) نقد الشعر : قداحة بن جعفر
(١) ٨٧ جـ معجم الأدباء •
(٢) تاريخ النقد الأدبى لطه ابراهيم •
(١) ٢٥ الموازنة : الآمدى •
(٢) ٢٨٣ المثل الشاغر • ابن الأثير •
(١) الموازنة ص ١٧٦ : الآمدى
(٢) الموازنة ص ٣ : الآمدى •
(١) الموازنة ص ٢١ : الآمدى
(١) الموازنة ص ٣ • الآمدى
(١) الموازنة ص ١٧٦ _ ١٨٠ •
(١) الموازنة ص ٣ : الآمدى •
(١) الموازنة للآمدى من ص ١ _ ص ٤٥٥ بتحقيق محمـد محيى الدين عبد الحميد • الطبعة الأولى ١٣٦٣ هـ _ ١٤٤ م •
(١) اتجاهات النقد الأدبى • د• محمد السعدى فرهود ص ١٦١ وما بعدها •
(١) الموازنة : الآمدى ص ٢٨١ •
(٢) الموازنة : المتقدمة •
(٣) طبع ونشر دار الحارثى بالطائف : السعودية
(١) فصول ى الأدب والنقد للدكتور خفاجى ص ٨١ وما بعدها •
(١) الأدب المقارن للدكتور خفاجى ص ١٠١ •
(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٧٤ ، ٧٥ •
(١) الآداب العربية فى العصر العبـــاسى الأول للدكتور خفاجى ص ١٧٤ ، ١٧٥ •
(١) اتجاهات النقد الأدبى للدكتور فرهود ص ٢٥٦ وما بعدها •
(٢) ديوان المتنبى ص ١٨٣ •
(١) المرزدقى : شرح ديوان الحماسة ص ١ •
(٢) أبو هلال العسكرى : الصناعتين ص ٤٩ •
(٣) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٢ ص ٢٠٢ •
(١) ابن سنان الخفاجى : سر الفصاحة ص ٧٣ •

الهوامش حرف ١٥

(١) أصول النقد : للدكتور خفاجى ص ١٨٨ ·
(١) أصول النقد : ص ١٨٨ ·
(١) الموازنة ص ٣٩٦ وما بعدها ·
(١) أصول النقد للدكتور خفاجى ص ١٧٢ ·
(١) أصول النقد ص ١٨٠ ·
(١) الموازنة ص ١٢ ، ١٧ ·
(١) الموازنة ص ٩ ·
(١) الموازنة ص ٦ مقدمة ·
(١) الموازنة ص ٩ ·
(٢) الموازنة ص ١٧ ·
(١) الموازنة ص ١٦ ·
(٢) دلائل الاعجاز ص ١٩٥ الطبعة الرابعة دار المنار سنة ١٣٦٧هـ
(١) مقدمة الموازنة ص ٣ ·
(٢) أصول النقد د· خفاجى ص ١٨٥ ، ١٨٩ ·
(١) الموازنة ص ٥٢٤ ·
(١) العمدة لابن رشيق جـ ٢ ص ١١٤ ·
(١) الموازنة ص ٤ ·
(٢) زهرة الآداب جـ ٣ ص ٢٦٣ ·
(٣) الآمالى لأبى على القالى جـ ٣ ص ٩٣ ·
(١) أنظر أخبار أبو تمام ص ٢٤٦ ·
(١) الموازنة ص ١١ ·
(١) أخبار أبى تمام للصولى ص ٢٣١ ·
(٢) طبقات الأدباء لابن الأنبارى ص ٢١٣ ·
(١) اعجاز القرآن ص ٥٣ ·
(١) الموازنة ص ٦ ·

فهرست الموضـــوعات

الموضـــوعات | الصفحة

رقم الايداع بدار الكتب ٨٦/٢٤٨٧

القاهرة الحديثة للطباعة

احمد بهى الدين الكربوطلى

٣ شارع الجد - بالفجالة

تليفون ٩٣٤٣١٠ - س. ت ١٤٩١٢٨